السفينة الماخرة

إلى

البرزخ والدار الآخرة

تأليف

حامد بن محمد العبادي

عفا الله عنه ووالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين

توزيع

مكتبة الأسدي

للنشر والتوزيع

كتب دينية - أدبية - ثقافية - جامعية

مكة المكرمة - العزيزية - ص.ب : ٢٠٨٣ - ت : ٥٥٧٠٥٠٦ - ٥٥٧٥٢٤١

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

عن ابى ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي بأربع كلمات هن أحب الي من الدنيا وما فيها فقال يا أبا ذر (أحكم السفينة فان البحر عميق واستكثر الزاد فان السفر طويل وخفف الظهر فان العقبة كؤد وأخلص العمل فان الناقد بصير)

حديث شريف

(رواه المقدسي)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبادي ، حامد محمد عبدالله
السفينة الماخرة إلى البرزخ والدار الاخرة / حامد محمد عبدالله
العبادي ـ مكة المكرمة ، ١٤٢٥هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك : ١-٧٥٦-٤٤-٩٩٦٠

١ـ الموت ٢ـ البرزخ ٣ـ الحياة الاخرى أ.العنوان
ديوي ٢٣٤ ١٤٢٥/١٨١٩

رقم الإيداع ١٤٢٥/١٨١٩
ردمك ١-٧٥٦-٤٤-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد فلقد من الله عز وجل علي بطبع هذا الكتيب (**السفينة الماخرة الى البرزخ والدار الآخرة**) فى عام ١٣٩٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكا التحية الموافق لعام ١٩٧٣ م وقد نفذت الطبعة المذكورة ولم تستغرق الا يسيرا من الزمن لكثرة الطلب والرغبة فيه من أهل العلم والخير والصلاح .

لذا فقد استحثني سماحة المغفور له الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ الرئيس العام لهيئات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الوسطى والشرقية ورغبني فى اعادة طبعه فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ورحمه رحمة الابرار واجزل له المثوبة فى عقباه آمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبى الرحمة والهدى سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وسائر اصحابه وتابعيهم باحسان الى يوم الدين أما بعد فمن نعم الله عز وجل وفضله على أن وفقنى الى جمع هذا الكتيب وتيسير طبعه مرتين وللرغبة فيه والاقبال عليه فقد نفذت كلتا الطبعتين في يسير من الزمن . لذا فقد أخذت فى الأسباب لاعادة طبعه مرة ثالثة وعرضت الأمر على بعض المحسنين الذين يقدرون العلم والعمل ويعملون لآخرتهم سرا وعلانية فلبى الطلب وسارع الى مغفرة من الله ورضوان امتثال أمره عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) الحديد/٢١ .

فليهنأ العاملون بالمغفرة والرضوان ورحب الجنان بما يقدمونه لآخرتهم من الخير والبر والانفاق فى سبيل الله وسائر الأعمال الصالحة ، وليبارك الله لهم فى أموالهم وأولادهم واهليهم وليجزل المثوبة لهم فى الأولى والعقبى انه سميع مجيب وصلى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم باحسان الى يوم الدين .

المؤلف

مقدمة الطبعة الرابعة

حمدا لك اللهم على جزيل آلائك وعظيم نعمائك وشكرا لك على توفيقك وهدايتك وصلاةً وسلاماً دائمين متلازمين على خيرتك من خلقك وصفيك وأمينك على وحيك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم لقاك : وبعد فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، والمعروف هو كل ما عرفه الاسلام وأقره وندب إليه ، وأفضله الإخلاص في العمل والاحسان إلى الغير والبذل والانفاق في سبيل البر وأوجه الخير ولاسيما في نشر العلم النافع الذي هو إحدى الباقيات الصالحات اللاتي خصهن رسول الله ﷺ بالذكر في قوله : ﴿ **إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له** ﴾ فإن أفضل ما يغتنمه المسلم في هذه الحياة هو نشر العلم الذي يبقى بعد ناشره نبراسا خالدا له يتمتع بنيل ثوابه كلما استفيد منه فأبشر أيها الناشر لهذه الكتب النافعة التى تنشر العقيدة السليمة والوعي الديني في الأمة والمجتمع بعيداً عن الرياء والسمعة ممتثلا قول نبيك الكريم ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « ورجل ينفق حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » أبشر أخي بوعد الله وكرمه وإحسانه ووعد رسوله ﷺ بخُلِف ما أنفقته في طاعته في الدنيا وبالثواب الجزيل في الآخرة . قال الله تعالى : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾ ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ ﴿ **وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ وقال الرسول الكريم ﷺ : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا** » وقال ﷺ قال الله تعالى : ﴿**أنفق ينفق عليك**﴾ فهنيئاً لباذلي المعروف في طاعة ربهم وابتغاء مرضاته ولمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وصلى الله وسلم على خير خلقه وخاتم أنبيائه نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

تقديم فضيلة الدكتور

محمد خليل هراس

رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة

تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فقد اطلعت على كتاب « **السفينة الماخرة الى البرزخ والدار الآخرة** » الذى ألفه الزميل الفاضل الشيخ حامد بن محمد العبادي المدرس بمعهد الحرم المكي . فوجدت هذا الكتاب مطابقا لعنوانه كل المطابقة فما ان شرعت فى تصفحه حتى انتقل بي من عُباب هذه الحياة وأمواجها الصاخبة الى أن رسا بي على شاطىء المرحلة البرزخية فأرانى هنالك ما يتصل بتلك المرحلة من فراق الروح للبدن وصعود ملائكة الرحمة بها الى ربها ان كانت مؤمنة ثم عودتها الى البدن لسؤال الملكين ثم بقائها بعد ذلك اما في نعيم دائم أو عذاب مؤلم ووجود قدر من الاتصال بينها وبين البدن يخول له أن يشارك الروح فى نعيمها أو في عذابها .

ثم انتقل بي مرة أخرى الى نهاية هذه الدنيا وخراب هـذا العالم وذلك حين يأمر الله اسرافيل أن ينفخ فى الصور النفخة الاولى وهى نفخة الفزع فتزلزل الارض زلزالها وتنسف الجبال من مقارها وتبس بسا فكانت هباء منبثا وتكور الشمس وتنكدر النجوم وتتناثر الكواكب وتفجر البحار فيتصل بعضها ببعض وتسجر أي تمتلىء نارا الخ .

ثم تجيء نفخة الصعق وهي التي يصعق عندها الاحياء فى السموات وفي الارض الا من استثنى الله عز وجل ثم تجيء نفخة البعث والنشور حين يقوم الناس من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم فيقول كافرهم « **ياويلنا من بعثنا من مرقدنا** » ويقول مؤمنهم « **هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون** » **يس/٥١** .

ثم يحشرون الى الله ثم يقفون فى عرصات القيامة وتدنو الشمس من رؤسهم ويُلجمهم العرق وينصرفون من هذا الموقف بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بينهم فيكون العرض والحساب ثم تطاير الصحف الى أصحابها ثم ميزان الاعمال ثم نصب الصراط على متن جهنم ومرور الناس عليه وتفاوت سرعتهم على قدر أعمالهم الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

كل هذا أحسسته وأنا أقرأ هذا الكتاب فهنيئا للزميل الفاضل سفينته وباسم الله مجريها ومرساها واني لادعو كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب حتى يستفيد منه رقة لقلبه وموعظة لنفسه وحتى يعد الزاد لتلك الرحلة المنتظرة .

أسأل الله أن ينفع به كل من قرأه وأن يجزل المثوبة لمؤلفه انه ولي التوفيق .

د . محمد خليل هراس
رئيس قسم العقيدة بالدراسات
العليا بكلية الشريعة بمكة

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بالبقاء والدوام لم يزل باقيا سرمديـا بلا انقضاء ولازوال وجعل الحياة فى هذه الدار محلا للاختبار والابتلاء وحكم على أهلها بالزوال والفناء تحت أطباق الثرى الى يوم البعث والجزاء فالى دار نعيم أو شقاء فسبحانه من قاهر عظيم أذل خلقه بالموت حقا وأشهد أن لا اله الا الله . أرجو بها النجاة فى البرزخ والحشر والمعاد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من دعا الى سبيل الهدى والرشاد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الى يوم التناد وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فلما رأيت الدنيا قد حادت بنا عن شاطىء السلامة الى هوة الهلكة والغواية فقد طغت المادة على النفوس وبغت واستولت الغفلة على القلوب وتمكنت حتى كأننا فى هذه الدار مخلدون فلم نعد لدار المعاد ودار البرزخ شيئا من الزاد الا من شاء الله من العباد علما بأننا عنها سائرون وللمال والاهل والولد والاحباب مفارقون ولنعيم البرزخ والـدار الآخرة أوعذابهما صائرون . (**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِيْ تَفِرُّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيْكُمْ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ**) الجمعة/٨.

لعمرك ما الدنيـا بدار اقـــامة
ولا الحيُ في حال الســـلامة آمنُ
تحـــاربنا أيامُنا ولنـــا رضىً
بذلك لـو أن المنـــايا تهـــادنُ
رَكِبنا من الآمـال في الدهـر لجة
فما صبرت للموت تلك الســفائنُ
تجيء الرّزايـــا بالمنـــايا كأنمـــا
نفوس البرايـــا للحِمـــام رهائن

لهذا وبعد البحث عما ألف في هذا الباب والوقوف على العديد من الكتب التي ألفها أسلافنا الاعلام امثال الجلال السيوطي[١] والعلامة المحقق ابن القيم[٢] والامام القرطبي[٣] والحافظ ابن الجوزى[٤] والعلامة الثعالبي[٥] والحافظ ابن كثير[٦] وأبى حامد الغزالى[٧] وغيرهم ممن وقفت على مؤلفاتهم ومن لم اقف ، رأيت أن أجمع نبذة منها على سبيل الاختصار فيما يتعلق بالبرزخ مما يرد على الميت عند الاحتضار وحال الروح بعد مفارقة البدن وصعودها الى الله تعالى ورجوعها الى القبر وما يجرى على الانسان فى قبره من نعيم أو شقاء على الروح والبدن وما يكون بعد البعث من الحشر والحساب متتبعا الصحيح من الاخبار وصريح الآيات وأقوال العلماء الثقات وأئمة الحديث حسب فهمي القاصر وادراكي الضعيف وان كنت لست أهلا لهذا الميدان غير أن رجائي فى الله تعالى أن يعينني على ذلك ليكون أنسي فى رمسي[٨] اذا نزلت في لحدي وصرت منفردا في قبري رهين عملي وانصرف الخل والاحباب عني سائلا المولى العظيم أن يجعل ما اليه قصدت خالصا لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسميته « **السفينة الماخرة الى البرزخ والدار الآخرة** » ورتبته على الفصول الآتية :ـ

(١) في شرح الصدور وبشرى الكئيب وابيات التثبيت مع شرحها جميع الشتيت والبدور السافرة

(٢) في كتاب الروح والفوائد وغيرهما .

(٣) في التذكرة .

(٤) في التذكرة والمدهش .

(٥) في العلوم الفاخرة .

(٦) في النهاية .

(٧) في الاحياء والدرة الفاخرة .

(٨) الرمس : القبر كما قيل :

وما ينفع المرموس عمران قبره
اذا كان فيه جسمه يتهدم

الحياة والموت

الحيـاة :ـــ

الحياة تَعَلُّقُ الروح بالبدن واتصاله به[1] أو هي الصفة التي يكون الموصوف بها ذا علم وقدرة[2] وهي الاصل في النعم اذ لولاها لم يتنعم أحد في الدنيا ولم يكن ثواب ولا عقاب فى الآخرة فان الله تعالى جعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء[3] خلق الله العباد في هذه الدار لعبادته وليبلوهم بالطاعة أيهم أحسن عملا فيثيبهم أو بالمعصية فيعاقبهم .

أوجدهم فيها ليعرفوا كمال قدرته واحاطة علمه فيعبـدوه وحده ويذلوا له ويخضعوا ليكون الكل خاضعا لقضائه متذللا لمشيئته منقادا لما قدره عليه لا يملك أحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا ولا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع فلم يزل عبدا فقيرا بذاته الى بارئه وفاطره فلما أسبغ عليه نعمته وأفاض عليه رحمته وساق اليه أسباب كمال وجوده ظاهرا وباطنا وخلع عليه انعامه وجعل له السمع والبصر والفؤاد وعلمه وأقدره ومكنه من استخدام بني جنسه وسخر له مافى بحره وبره وجوه وسلطه على دواب الماء وعلمه الطيران فى الهواء وأقدره على حفر الانهار وغرس الاشجار وشق الارض واستخراج الكنوز منها وتعلية البناء والتحيل على مصالحه والتحرز والتحفظ لما يؤذيه فلما أسبغ عليه هذه النعم وغيرها مما لا يحصرها لسان ولا قلم ظن هذا الانسان المسكين أن له نصيبا من الملك وادعى لنفسه ملكا مع الله سبحانه وراى نفسه بغير تلك العين الاولى ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة حتى كأنه لم يكن ذلك الفقير المحتاج بل كأن شخصا آخر غيره كما

(١) من تفسير فتح البيان ج ٤ ص ٦١١ .

(٢) من تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ٥٤ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٠٦ من حديث قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول (ان الله تعالى اذل بني آدم بالموت ..) الحديث .

روى الامام أحمد في مسنده من حديث بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ـ ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال : « قال الله تعالى : « **يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد[1] فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي[2] قلت أتصدق وأنى أو ان الصدقة[3] ؟** » .

ومن هنا خذل من خذل ووفق من وفق فحجب المخذول عن حقيقته ونسي نفسه فنسي فقره وحاجته وضرورته الى ربه فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة « **كـلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » العلق /٦ بخل واستغنى وكذب بالحسنى فنسي أصله ومصيره وجهل انه راحل من هـذه الدار مسافر منها الى دار القرار الجنة أو النار ولم يعلم أنه انما جعلت هذه كالميناء لتلك ليتزود منها المسافرون اليها فخلق فى هذه الدار ماهو من آثار رحمته من مشتهيات وملذوذات مما هو نفحة من نفحات الدار الآخرة التى هو فيها على وجه التمام والكمال وليشوق بها عباده المؤمنين المخلصين اليها فيهتز المؤمن برؤيتها الى ما أمامه لان الشيء يذكر بجنسه والنعيم يذكر بالنعيم كما اوجد سبحانه فى هذه الدار ما هو من آثار غضبه ونقمه من العقوبات والآلام والبلايا والمحن والمكروهات ما يستدل بجنسه على ما فى دار الشقاء من ذلك ليسوق بها عباده المؤمنين ويحذرهم كل الحذر[4] فجعل الحياة فيها ممزوجة بالخير والشر والنعيم والعذاب فكم أحزنت بعد أن أفرحت وكم أضحكت ثم أبكت وكم تبدلت صحتها بالسقم ووجودها بالعدم وشبيبتها بالهرم ونعيمها بالبؤس والنقم .

(١) وئيد : صوت شدة الوطء على الارض .
(٢) التراقي : عظام بين ثغر النحر والعاتق .
(٣) المسند ج ٤ ص ١٢٠ الطبعة القديمة كما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٠٦ .
(٤) من كتاب طريق الهجرتين بتصرف ص ١٤١ ـ ١٤٢

قد نـادت الدنيـا على نفسهـــا
لو كان في العــالم من يســمع
كـــم واثق بالعمـــــر افنيتـــــه
وجـــامع بددتُ ما يجمـــع

ومع هذا فقد نغص على أهلها الموتُ الذي ليس عنه فرار ولا فوت .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم قال : **« لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب »**[1] ولولا الأمل لم يهنأ لاهل الدنيا بال ولم يستقر لهم قرار ففي شرح الصدور للسيوطي بسنده الى ابن أبي شيبة في مصنفه والامام أحمد في كتاب الزهد عن حبيب ابن الشهيد عن الحسن قال : **« لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة : ان الارض لا تسعهم : قال اني جاعل موتا . قالوا : اذا لا يهنأ لهم العيش قال : اني جاعل أملا »**.. وعن انس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان ـــ الحرص وطول الامل ـــ[2] .. وعن علي رضي الله عنه يرفعه : **« ان أشـد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل »** .. فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الامـل فانه الحب للدنيا وسبب طول الامل حب الدنيا والانس بها والجهل باستبعاد الموت فجأة ولا يدري ان ذلك غير بعيد[3] وقال الحسن البصري رحمه الله : **« من أراد الدنيا على الآخرة عاقبه الله بست عقوبات ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة »** .

أما التي في الدنيا فأمل ليس له منتهى وحرص غالب ليس له حد وأخذ منه

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٠٦ مطبعة دار الكتب المصرية .
(٢) في الصحيحين .
(٣) في الصحيحين والنسائي وأحمد .

حلاوة العبادة وأما التى في الآخرة فهول يوم القيامة والحساب الشديد والحسرة الطويلة »[1].

يامن يؤمل لا تركن الى الأمـــل
وبادر الخير واغنم فسحة الأجــل
واذكر وقوفك يوم الحشر مكتئبا
ممـــــا تقدم من جـــرم ومن زلل
واحذر اذا وضع الميزان من عمل
يقضي عليك بانواع من الخــــلل
والنار لا تنس مافيها لمن سلفت
منه المعاصي ولم يندم ولم يزل
شراب من حل فيها ذا الصديد ومن
زقومها أكلهم ياقبح ذا الاكـــــل
فحاذرن من عذاب الله واكتســـبن
اجرا ولا تكسلن عن صالح العمــل

فطول الامل خداع وغرور وهو مذموم لقول النبي ـــ ﷺ :« **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور** »[2] أي عش عيشة الغريب عن وطنه بالزهد والتزود منها للآخرة فانها الوطن الاول وهي دار القرار وانما اوجد الانسان في هذه الدار ليمتحن بالطاعة فيثاب أو بالدنب

(١) من كتاب المنبهات لمؤلفه أحمد محمد الحجي .
(٢) روى أوله البخاري وآخره الامام أحمد والترمذي وابن ماجه .

فيعاقب « **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** »[1] فهو بمنزلة عبد أرسله مولاه في مهمة يريد قضاءها اذاً فهو غريب أو عابر سبيل عليه ان يبادر لقضائها ثم يعود الى وطنه فلا يتخذ الدنيا وطنا ومقرا بل يكون على جناح سفر مهيئا للرحيل .

المـــوت :ـــ،

ان حقيقة الموت كما قال العلماء رحمهم الله تعالى أخذا من النصوص الشرعية والبراهين العقلية هو أنه ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرا وباطنا ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل من حال الى حال وانتقال من دار الى دار بخلاف النوم فانه انقطاع الروح عن ظاهر البدن من بعض الوجوه[2] .

قال الله تعالى : « **الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى** »[3] . الزمر /٤٢

أي يقبض الارواح عند حضور آجالها ظاهرا بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة ويقبض التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطنا فان الحياة والنفس والحركة فيه . ولذا عرفوا النوم بأنه فطرة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك[4] وقيل انه غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء[5] .

وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهرا وباطنا والمعنى انه تعالى يقبض الروح في حالتين في حالة النوم وفي حالة الموت فما قبضه في حالة النوم معناه انه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض وما قبضه في حالة

(١) الملك /٢ .

(٣) انظر كتاب شرح الصدور وبشرى الكئيب للسيوطي ص ١٢

(٤) صاوي الجلالين ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٥) مطالب اولى النهي ج ١ ص ١٤١ .

الموت فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيامة فمعنى « ويرسل الاخرى » أي يزيل الحابس عنها ويعيد الاحساس فيعود كما كان اذاً فتوفى الانفس في حالة النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والآفة محل الادراك وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وازالة الحس بالكلية(١) فهى وفاة على وجهين وفاة كاملة حقيقية وهي الموت والاخرى وفاة النوم لان النائم كالميت فى كونه لا يسمع ولا يبصر(٢) وعن حقيقة النوم يقول الامامان عكرمة ومجاهد رحمهما الله تعالى اذا نام الانسان كان له سبب يجري فيه الروح وأصله في الجسد فتبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبا فالانسان نائم واذا رجع الى البدن انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع الشمس وهو ساقط بالارض وأصله متصل بالشمس(٣) اهـ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى « **الله يتوفى الانفس** » ... الآية قال : تلتقي ارواح الاحياء وارواح الاموات في المنام فيتساءلون ماشاء الله ثم يمسك الله ارواح الاموات ويرسل ارواح الاحياء الى أجل مسمى لا يغلط بشيء منها فذلك قوله تعالى : « **ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** »(٤)

هذا وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حقيقة الروح(٥) على فريقين فريق أمسك عن الكلام والبحث فيه وقالوا انه أمر غيبي وسر من اسرار الله تعالى استأثر الله بعلمه ولم يؤته أحدا من البشر وهذه هي الطريقة المختارة لقوله تعالى :

---

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٢٦١ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٢ ص ١٩٧ .

(٣) شرح الصدور .

(٤) خرجه ابن مردويه وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الاوسط وابو الشيخ في العظمة .

(٥) الروح : سميت بذلك لان بها حياة البدن كما سميت النفس بها لحصول الحياة بها أيضا وسميت النفس نفسا لنفاستها وشرفها أو لكثرة خروجها ودخولها في البدن اه اللوامع ج ٢ ص ٣٠ .

« **قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا** »[١] . فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ـ ﷺ في خرب المدينة وهو متكىء على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فقالوا يامحمد ما الروح ؟ فمازال متكئا على العسيب فعلمت انه يوحى اليه فقال : « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا**[٢] قال الجنيد رحمه الله تعالى : الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود » اهـ

وعلى هذا حبر الامة وترجمان القرآن ابن عباس وأكثر السلف رضي الله عنهم وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان لا يفسر الروح . فعن عكرمة قال : سئل ابن عبـــاس رضي الله عنهما عن الروح قال : الروح من أمر ربي لا تنالوا هذه المسألة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله تعالى وعلم نبيه : « **ومــا أوتيتم من العلم الا قليلا** »[٣] .

قال ابن رسلان :

(والروح مااخبر عنها المجتبى
فنمسك المقال عنها أدبـــــا)

وقال قوم من أهل العلم لما لم يأذن الله تعالى لرسوله بالجواب كان ذلك تصديقا لنبوته لان سؤالهم سؤال تعجيز وتغليط لان مسمى الروح مشترك بين روح الانسان وجبريل وملك آخر يسمى الروح وصنف من الملائكة والقرآن وعيسى ابن مريم عليهما السلام فلو أجاب عن واحد من أولئك لقالوا لم نرد هذا

(١) الاسراء /٨٥ .
(٢) في الصحيحين .
(٣) أخرجه ابن ابى حاتم كما في شرح الصدور .

تعنتا فجاء الجواب مجملا كما سألوا مجملا.

لهذا اختلفت آراء ذوي القول الثاني واضطربت أقوالهم فقد نقل العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في كتابه « الروح » هذا الاختلاف وتلك الاقوال ورد ما هو حقيق بالابطال والزيف وذكر ماهو الحق في هذه المسألة واوضح عليها الاستدلال ثم قال في خاتمة البحث والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو ــ أي الروح ــ جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك شفاف ينفذ في جوهر الاعضاء ويسري فيها سريان الماء في العود الاخضر وسريان الماء في الورد والدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الأعضاء وافادها هذه الآثار من الحس والحركة والارادة واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب ينافي الروح كاستيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح . اهـ

واستدل رحمه الله تعالى لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة واجماع الامة وأدلة العقل والفطرة اطال بذكرها حتى أوصلها الى ستة عشر ومائة دليل .

فضل الموت

وفي فضل الموت وردت أخبار كثيرة مرفوعة . فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **تحفة المؤمن الموت** »[1] أي بر له ولطف به وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله — ﷺ قال : « **الموت غنيمة المؤمن** »[2] أي وذلك لما ينال منه من الاجر والثواب بسبب صبره على ما يلقاه في مرضه من الآلام والاوجاع وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي — ﷺ قال : « **اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب** »[3] وأي فتنة أعظم من فتنة الدنيا لا سيما في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن والملهيات وعمت فلا فرار ولا نجاة منها الا بالموت الذي هو راحة له من مصائب الدنيا وهمومها . فعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا (الدنيا لا تصفو للمؤمن كيف وهي سجنه وبلاؤه)[4] وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : (مر على النبي — صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال : (مستريح ومستراح منه . فقالوا : يارسول الله ماالمستريح وما المستراح منه ؟ .. فقال : (العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا واذاها الى رحمة الله والعبد الفاجر يستريح منه العباد والشجر والدواب)[5] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ما من بر ولا فاجر الا والموت خير له من الحياة ان كان برا فقد قال تعالى : (**وماعند الله خير للأبرار**)[6] وان كان فاجرا فقد قال الله تعالى : (**ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين**) آل عمران/١٧٨

(١) الطبراني في معجمه الكبير والحاكم في المستدرك وابن ابى الدنيا وابن المبارك .

(٢) الديلمي في مسنده .

(٣) الامام أحمد في المسند وسعيد بن منصور في سننه .

(٤) ابن لال .

(٥) في الصحيحين .

(٦) آل عمران/١٩٨ .

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**)[٢] قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى في شرح هذا الحديث ان المؤمن باعتبار ما سيؤل اليه حاله من دخول الجنان التى تجري من تحتها الانهار وما فيها من الحور والانوار وما لا يحصره قلم ولا لسان من النعيم والخلود الابدي والخدم من الولدان تدار عليهم الكئوس والاكواب وهم على سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ولحم طير مما يشتهون وفاكهة مما يتخيرون والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويسلمون ورضوان من الله تعالى أكبر يكون في الدنيا في سجن وان كان ذا مال كمال قارون وفي ملك كملك نبي الله ابن داود لكان بالنسبة الى ما سيناله في الدار الآخرة كأنه الآن كائن في ظلمة السجون فان الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وان الكافر باعتبار ما سيصلاه ان مات على كفره من الحريق وما يصبح به من الزفير والشهيق وما يدعو به في النار من الويل والثبور وما يتجرعه من الحميم في دار البوار وما يتبعه من الخلود كلما نضجت جلودهم ابدلوا منها الجلود فهو لو كان في أضيق سجن من سجون الدنيا وفي أعظم بلية أو في نار من نيران الدنيا لكان بالنسبة الى ما آلت اليه معاصيه وما جلب اليه كفره وقبيح مخازيه من الخلود في الجحيم والعذاب المهين هو في أعظم جنان الدنيا وأحسن نعيم[٣] اما المؤمن فكما يفيده الحديث انه حين موته يخرج من ضيق الى سعة وان منزله بعد فراق الدنيا اوسع وحاله بعدها ارفع . قال بعضهم :

(قد قلت اذ مدحوا الحياة فاسرفوا
في الموت ألف فضيلة لا تعـــرف
فيها أمان لقــائه بيقــائه
وفـراق كل معاشـــر لا ينصف

(٢) ابن المبارك .
(٣) من جمع الشتيت .

ومع هذا فلا ينبغي للمرء أن يتمنى الموت لانه يشعر بعدم الرضا والتسليم بما قضاه المولى وقدره عليه مما ألم به من شدة المرض ومرارة الالم . اذ المرض طهور للمؤمن من الذنوب والموت قاطع له ولان الحياة في طاعة الله تعالى نعمة جليلة وتمنى زوالها أمر لا ينبغي لقوله ﷺ : (**لا يتمنين أحدكم الموت اما مسيء فيستغفر أو محسن فيزداد**)[1] وقوله ـ ﷺ : (**خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم اعمالا**)[2] فكلما طال عمر المؤمن كلما ازداد من أعمال الخير والبر فتكثر حسناته وكثرة الحسنات تمحو السيئات فيكون مقبولا عند الله عز وجل وبعكس ذلك من طال عمره وساء عمله[3] عياذا بالله تعالى .

طـــــرفة :

فيما يتعلق بحديث (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** ...) يروى أن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى حينما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة راكبا بغلته اذ هجم عليه يهودي زيات وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام البغلة وقال : ياشيخ الاسلام تزعم أن نبيكم قال : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها ؟ .

فقال الحافظ : انا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني في سجن وانت بالنسبة لما أعد الله لك فيها من النكال والعذاب المهين كأنك الآن في جنة . فأسلم اليهودي[4]

(الموت ووجوب الاستعداد له)

ان الموت أمر جلل وخطر هائل وخطب عظيم ولا بد منه لكل مخلوق (**كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار**

(١) في الصحيحين والبيهقي والنسائي .
(٢) الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
(٣) الفتح الرباني ج ٧ ص ٥٠
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ٥٤٦

وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) ـــ ٩٣/آل عمران (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ـــ ٧٨/النساء ـــ (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ـــ الرحمن ٢٥/٢٦ ـــ اذاً فيجب الاستعداد له بأخذ شيء من الزاد قبل نزوله ليكون المرء على نور من ربه اذ الموت عاقبة أمور الدنيا فالكيس من أبصر العاقبة والاحمق من عمي عنها وحجبته الشهوات والغفلات ولم يذكرْ الموت ولم يفكر فيه وان ذكره لم يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بالشهوات واللذات .

لذا فلا ينجع ذكره هذا وقد قال ﷺ : (أكثروا ذكرها ذم اللذات)[٢]

قال بعض العلماء من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة اشياء :

(١) تعجيل التوبة (٢) قناعة القلب (٣) النشاط في العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء :

١ ـــ تسويف التوبة (٢) عدم الرضا بالكفاف (٣) التكاسل في العبادة .

فالاستعداد أن لا يفرغ قلب المؤمن من ذكر الموت الذي هو بين يديه وانفع طريق لذكره اياه أن يذكر أقرانه وزمـــلاءه وأمثاله فيذكـر مصرعهم تحت التراب ويتذكر مناصبهم التي كانوا عليها في الدنيا ويتأمل كيف محا التراب حسن وجوههم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف يتم أولادهم وضيعت أموالهم وخلت مجالسهم ومساجدهم وانقطعت آثارهم .

تالله لو أبصرت عيناك ما صنعت
أيدى البلى بهمو والدود يفترس
من أوجه ناضرات حار ناظرهـــا
في رونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظم باليـــات مابها رمـــق

(٢) النسائي وابن ماجه عن ابى هريرة رضي الله عنه .

وليس يبقى وهذا وهي تنتهس

والسن ناطقات زانهـــا أدب

ماشأنها شانها بالآفة الخرس

يا ذا النهي والحجى لا ترعوى سفها

ودمع عينيك لا يهمى وينحبس[1]

جاء في كتاب مختصر منهاج القاصدين عن حامد القيصري رحمه الله انه كان يقول : (كلنا قد أيقن بالموت ومانرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة ومانرى لها عاملا فعـــلامَ تفرحون ؟ وماعسيتم تنتظرون ؟ الموت فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر فياخوتاه سيروا الى ربكم سيرا جميلا ومثله عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله في موعظته للناس لما سألوه عن قوله تعالى : (**ادعونى استجيب لكم**) غافر (٦٠) قالوا : فانا ندعوه فلا يستجيب لنا . فقال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء : أولها انكم عرفتم الله ولم تؤدوا حقه وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به وادعيتم عداوة الشيطان وواليتموه وادعيتم حب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم وتركتم أثره وسنته وادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب وادعيتم ان الموت حق ولم تستعدوا له واشتغلتم بعيوب غيركم وتركتم عيوب أنفسكم وتأكلون رزق الله ولا تشكرونه وتدفنون موتاكم ولا تعتبرون[2] فجدير بمن كان الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير سائله وعمله جليسه والقبر مقره والبرزخ مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يغفل عن الموت وما بعده وأن لا يستعد الا له ولا يهتم الا به ولا يحوم الا حوله وليعد نفسه في الموتى ويراها في أصحاب القبور وليذكر انه اليوم في الدور والقصور وغدا في الحفر والقبور

(١) من قرة العيون المبصرة .

(٢) في المنبهات ليوم المعاد .

فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى وأعظم من ذلك الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وعدم التفكير فيه وترك العمل له فان فيه لعبرة لمن اعتبر .

يحكى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل عنه وجعل يطوف به متفكرا فيه مخاطبا اياه مالَكَ لا تقوم ؟ مالَكَ لا تنبعث ؟ هذه أعضاؤك كاملة وجوارحك سالمة ما شأنك ؟ ما الذي كان يبعثك ؟ ما الذي صرعك ؟ ما الذي عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكرا في شأنه متعجبا في أمره قائلا :

جاءته من قبل المنون اشـــارة
فهوى صريعا لليـــدين وللفـــم
ورمى بمحكم درعــــه وبرمحـــه
وامتد ملقى كالفنيق[1] الأعظـــم
لا يستجيب لصـــارخ أن يدعـه
أبـــدا ولا يرجى لخطب معظـــم
ياويحه من فـــارس ما بالــــه
ذهبت مروته ولــم يتكلـــــم
هـــذى يداه وهـــذه أعضـــاؤه
مامنه عضـــو قد غـــدا بمثلـم
هيهات ما خيـــل الردى محتاجة
للمشـــرفى ولا الســـنان اللهــــذم
هي ويحكـــم أمر الاله وحكمـه
والله يقضي بالقضــــاء المبــــرم
ياحســـرة لو كان يقدر قدرهـــــا

(١) الفنيق : كالفرارة العظيمة الملقاة قاله في القاموس .

ومصيبة عظمـــت ولما تعظــم

خبـــر علمنـــا كلنا بمكـــــانه

وكأننا في حالنا لم نعـــــلـم[1]

فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني[2] والذى يعين على ذكر الموت والعمل لما بعده زيارة القبور وتغسيل الموتى والصلاة على الجنائز فعن ابى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (زر القبور تذكر بها لآخرة وأغسل الموتى فان في معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله يتعرض لكل خير)[3] فعلى العاقل ان لا يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت بل يكثر من ذكره لانه يزهد في الدنيا ويستعد له بالتحلي بالاعمال الصالحة التي تقربه من ربه والتخلي عن الاعمال السيئة التي تبعده عن رحمة ربه حتى اذا فاجأه الموت كان في عمل صالح فيحب لقاء الله والله يحب لقاءه ويبعث على ما مات عليه . فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ اذ بصر[4] بجماعة فقال : (علامَ اجتمع هؤلاء ؟ قيل على قبر يحفرونه ففزع النبي ﷺ فبدر بين يدي أصحابه مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثا عليه فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم أقبل علينا قال : (أي اخواني لمثل اليوم فأعدوا)[5] .

وعن هانىء مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار وتبكى من هذا قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان القبر أول منازل الآخرة

(١) من كتاب التذكرة للعلامة القرطبي رحمه الله

(٢) أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم

(٣) الحاكم في المستدرك .

(٤) بصر علـم

(٥) أحمد بسند جيد ورواه ابن ماجه باسناد جيد مختصرا انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج ٥ ص ٢٠١ .

فان نجا منه فما بعده أيسر منه فان لم ينج فما بعده أشد)[1].

أمر على المقــابر كــل حين
ولا أدري بأي الأرض قبــــرى
وأفــرح بالغنى ان زاد مــالي
ولا أبكي على نقصان عمــري[2]

قال ثابت البناني رحمه الله : كنا نشهد الجنازة فلا نرى الا متقنعا باكيا ، قلت : هكذا كان ايمانهم بالله وخوفهم منه .

وفي زماننا نرى أكثر المشيعين يضحكون ويلهون ولا سبب لهذا غير الغفلة التي بها قست القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسي الكثير منا المولى جلت عظمته واليوم الآخر وأهوال البرزخ والمعاد فانا لله وانا اليه راجعون نسأله تعالى اليقظة من هذه الغفلة .

ـ نذر المـوت ورسله ـ

ان الموت هو القيامة الصغرى فمن مات فقد قامت قيامته فان قوما من الاعراب سألوا النبي ﷺ عن الساعة فنظر الى احدث انسان منهم فقال (ان يعشْ هذا حتى يدركه الهرم قامت عليه ساعتكم[3] قال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي
غــداة أقل الحـاملون جنــــازتي

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه
(٢) من كتاب العلوم الفاخرة ج ١ ص ٩٠ .
(٣) رواه مسلم

وعجل أهلي حفر قبري وصيروا

خروجي وتعجيلي اليه كرامتي

كأنهم لم يعرفوا قط صورتي

غداة أتى يومي علي وليلتي

ولا شك أن لهذه القيامة نذراً وعلامات ففي التذكرة للحافظ القرطبي رحمه الله تعالى مانصه :

ورد في الخبر أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ فقال نعم : لي والله رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فان قبضته ناديته : ألم اقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير .اهـ .

وفي روضة المشتاق الى الملك الخلاق للحافظ ابن الجوزى رحمه الله . ما من يوم تطلع شمسه ولا تغرب الا وملك ينادي يا أبناء الاربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية ويا أبناء الخمسين قد دنا الاجل والحصاد وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير (**ألم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**)[1] ـــ فاطر/٣٧ ـــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعذر الله الى رجل آخر أجله حتى بلغ ستين سنة)[2] أي لم يبق له عذرا في ترك الطاعة مع تمكنه من المديد في عمره قال (ابن بطال) انما كانت الستون حدا لهذا لأنها قريبة من المعترك وهي سن الانابة والخشوع وترقب المنية فهذا اعذار لطفا من الله تعالى بعباده فقد نقلهم

(١) من جمع الشتيت للامير (الصنعاني)

(٢) البخاري والحاكم والنسائي والطبراني بروايات مختلفة

من حالة الجهل الى حالة العلم ثم أعذر اليهم فلم يعاقبهم الا بعد الحجج الواضحة وان كانوا قد فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية وفي الحديث اشارة الى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الاجل واصرح من ذلك ماأخرجه الترمذي بسند حسن الى ابى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه . (اعمار امتي مابين الستين الى السبعين وأقلهم من تجوز ذلك)[1].

قال بعض الحكماء : الاسنان أربعة سن الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الاسنان وغالب مايكون مابين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط فينبغي له الاقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع الى الحالة الأولى من النشاط والقوة[2] قال بعضهم :

رأيت الشـيب من نذر المنـايا
لصاحبه وحسبك من نـذير
تقول النفس غير لون هذا
عساك تطيب في عمر قصير
فقلت لها المشيب نذير عمري
ولست مسودا وجه النذير

فما أعظم غفلتنا وبين أيدينا الكثير من الأهوال أما نستحي من استبطائنا هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا فما يعتبرون . فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون . أيظنون أنهم في الدنيا

(١) انظر الفتح الرباني ج ٧ ص ٥٢ ـ ٥٣ (٢) الفتح الرباني ج ٧ ص ٥٢

خالدون ؟ ألم يروا كم أهلكنا من القرون أنهم اليهم لا يرجعون ؟ أم يحسبون ان الموتى سافروا منهم فهم يعودون ؟ كلا ثم كلا ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون[١] ومن قول الواعظ رزق عبد الوهاب البغدادي :

وما شنآن الشيب من أجل لونه
ولكنه داعٍ الى المـوت مسـرعُ
اذا ما بدت منه الطليعـة آذنت
بأن المنايا بعدهـا تتطلـعُ
فان قصها المقراض صاحت بأختها
فتظهر تتلوها ثلاث وأربـعُ
وان خضبت حال الخضاب لانه
يخالف صنع الله والله أصنعُ
اذا ما بلغت الاربعين فقل لمن
يـودك فيما تشتهيه ويسـرعُ
هلموا لنبكي قبل فرقـه بيننـا
فما بعدها عيش لـذيذ ومجمعُ
وخل التصـابي والخلاعةَ والهوى
وأُمَّ طريق الخير والخيـر أنفعُ
وخذ جُنَّةً تنجو وزادا من التقـى
وصُحبة ذى تقوى فقصدُك مفزعُ

(١) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٥

ما ينبغي فعله
عند المرض وحال الإحتضار

مما ينبغي للمريض أن يحرص على تحسين خلقه ويجتنب المخاصمة والمنازعة في أمور الدنيا مستحضرا ان هذا آخر أوقاته في دار الأعمال فيختمها بخير ويستحل زوجه وأولاده وسائر أهله وخدمه وجيرانه وأصدقاءه وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة وأن يرضيهم ويتعاهد نفسه بقراءة القرآن والذكر وحكايات الصالحين وأحوالهم عند الموت وأن يحافظ على الصلوات جمعة وجماعة ويجتنب النجاسة ويتحرز منها فان معظم عذاب القبر منها ويوصي أهله بالصبر وترك النوح عليه وترك ماجرت به العادة من البدع في أمر الجنائز وليتعهدوه بالدعاء كما ينبغي أن يكون خائفا ذنوبه راجيا عفو الله ومغفرته محسنا ظنه بربه مؤملا رحمته وفضله واحسانه فهو تعالى عند ظن عبده به فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما أرداهم سوء ظنهم بالله فقال ﴿ **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** ﴾ ـ فصلت ٢٣ ـ[١] فليظن المؤمن بربه خيرا لاسيما عند نزول الموت وحال الاحتضار فيغلب جانب الرجاء على الخوف لأن الخوف سوط الله الذي يسوق به عباده الى المواظبة على العمل الى رضوانه وليس في هذه الحال عمل فاذا ماحضر أجل المرء وأتت رحلته من الدنيا لم يبق لخوفه معنى بل يؤدى ذلك الى اليأس والقنوط وهو تضييق لسعة فضل الله تعالى وواسع رحمته ومن ثم كان من الكبائر القلبية .

(١) عند مسلم واحمد وابى داود وابن ماجه

ذنوبي ان فكـــرت فيها كثيـــرة
ورحمة ربي مــن ذنــوبي أوسعُ
وماطمعي في صالح قــد عملته
ولكنني في رحمــة الله أطمـــعُ
فان يك غفران فذاك برحمـــة
وان تكن الاخـــرى فما أنا صانعُ
هـــو الله ربي ومولاي خـــالقي
فاني لــه عبد أقـــر وأخضـــعُ

فحسن الظن بالله تعالى وعظيم الرجاء فيه لهو خير ما يتزوده المؤمن لقدومه على ربه وهو السلاح القوي الذي يدفع به الشيطان حينما يتعرض له في هذا الموطن العصيب ليفسد عليه عقيدته كما في حديث واثلة بن الاسقع رضي الله عنه : (احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف والدي نفسي بيده لا يخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله)[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لطلحة بن عبيد الله مالي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ـــ ﷺ لعلك ساءك يا طلحة امارة ابن عمك[2] قال : مَعاذَ الله اني لاحذركم أن لا أفعل ذلك اني سمعت رسول الله ـــ ﷺ يقول : (أني لاعلم كلمة لا يقولها أحد حضره الموت الا وجد روحه لها رَوْحاً)[3] حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة فلم أسأل رسول الله ـــ ﷺ ـــ

(١) أبو نعيم في الحلية كما في جمع الشتيت ومنهاج القاصدين .
(٢) يريد امارة ابن عمه الصديق حيث يجتمع نسبه في عمرو بن كعب كما في الفتح الرباني ٧ ص ٥٥
(٣) الروح : بالفتح الرحمة والراحة والسرور .

عنها ولم يخبرني بها فذلك الذي دخلني[1] قال عمر رضي الله عنه : فأنا أعلمها قال : فلله الحمد فما هي ؟ .. قال : هي الكلمة التى قال لعمه (لا اله الا الله) قال طلحة : صدقت[2] فعلى هذا ينبغي للمحتضرَ أن لا يفتر لسانه من النطق بالشهادة ليكون آخر كلامه من الدنيا فيختم له بالسعادة ويدخل في عموم قوله — ﷺ — : (من كان آخر كلامه لا اله الا الله) دخل الجنة[3] وذلك بالنطق بها وذكرها عنده وعدم الالحاح بها عليه لئلا يضجر . قال العلماء رحمهم الله : وانما ندب تلقينها لان المحتضر في هذا الوقت يشهد من العوالم والاهوال مالا يعهده فيخاف عليه الغفلة والشيطان لانه لعنه الله أقرب ما يكون من العبد في هذا الموطن كما تقدمت به الاشارة في الحديث آنفا نسأل الله تعالى السلامة والنجاة واستحضار ذكرها في هذا الوقت الرهيب . ولان للنطق بها عند الموت تأثيرا عظيما في تكفير السيئات واحباطها لانها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها قد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المتمردة وانقادت بعد ابائها واستعصائها وأقبلت بعد اعراضها وذلت بعد عزها وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها وذلت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته وتجرد منه التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقيق بطلانه فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير اليه فوجه العبد وجهه بكليته اليه وأقبل بقلبه وروحه وهمه غليه فاستسلم وحده ظاهرا وباطنا واستوى سره وعلانيته فقال (لا اله الا الله) مخلصا من قلبه وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات الى ما سواه وقد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدوم على ربه وخمدت نيران شهوته وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه

(١) وخلني : احزنني وغير حالي .
(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه والبيهقي .
(٣) رواه ابو يعلى عن ابى سعيد كما في مجمع الزوائد .

وصارت الدنيا وراء ظهره فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه وادخلته على ربه لانه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها وفر الى الله من الناس وأنس به دون ما سواه لكنه شهد بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة واسبابها ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات الى غير الله فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي والله المستعان[1] .

ومن المستحب أن يوجه المحتضر الى القبلة مضطجعا على شقه الايمن لحديث ابى قتادة أن النبي — ﷺ — لما قدم المدينة سأل عن البراء بن معرور فقالوا توفى واوصى بثلث ماله لك وأن يوجه للقبلة لما احتضر فقال النبي — ﷺ — : (أصاب الفطرة وقد رددت ثلث ماله على ولده) ثم ذهب فصلى عليه ودعاله[2] كما يستحب حضور من يرجى فيهم الخير والصلاح عنده للدعاء له بالمغفرة والتخفيف عنه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أتى رسول الله ﷺ بعض بناته وهي تجود بنفسها فوقع عليها[3] فلم يرفع رأسه حتى قبضت قال فرفع رأسه وقال الحمد لله المؤمن بخير تُنزعُ نفسُه من بين جنبيه وهو يحمد الله)[4] .

ثم يشرع في اغماض بصره لان الروح اذا خرجت من الجسد تبعه البصر ناظرا الى أين تذهب وحينئذ لا فائدة في بقاء البصر مفتوحا سوى تشويه الخلقة فلذا شرع اغماضه اكراما للميت لقوله ﷺ : (اذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح ..) الحديث[5] .

(١) من كتاب الفوائد للعلامة ابن القيم رحمه الله ص ٥٥
(٢) ابو داود وأحمد وصححه الحاكم .
(٣) فوقع عليها : أرخى رأسه وأكب عليها .
(٤) أحمد والنسائي بسند جيد .
(٥) خرجه الامام أحمد انظر الفتح الرباني ٦٢/٧ .

وقراءة سورة (يس) عند المحتضر سنة لحديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله — ﷺ — قال (يس) قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له واقرؤوها على موتاكم[١] .

قال بعض المحققين أراد بقوله (موتاكم) من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه وعبر عن المحتضر بالميت على حد قوله تعالى : (**انك ميت وانهم ميتون**)[٢] — الزمر / ٣٠ — ولان المحتضر قد صار في حكم الاموات ويؤيده قول صفوان بن عمر الضبي حيث قال : حدثني المشيخة[٣] أنهم حضروا غضيف بن الحارث الثمالي حين اشتد سَوقُهُ[٤] فقال : هل منكم أحد يقرأ (يس) فقرأها صالح بن شريح السَكوني فلما بلغ أربعين آية منها قبض قال فكان المشيخة يقولون اذا قرئت عند الميت خفف عنه بها قال صفوان : وقرأها عيسى بن المعتمر عند ابن معبد[٥] وحديث ابى الدرداء وابى ذر أن رسول الله — ﷺ — قال : (ما من ميت تقرأ عنده (يس) الا هون الله عليه)[٦] وحكمة قراتها عند المحتضر لكونها مشتمله على اصول العقائد فيتقوى بسماعها التصديق والايمان وجميع المسائل المعتبرة من كيفية الدعوة واحوال الامم واثبات القدر واثبات التوحيد ونفي الشريك وبيان امارات الساعة والاعادة والحشر والحساب والجزاء والمرجع[٧] فبقراءتها عند المحتضر يتجدد له ذكر تلك الاحوال ويتنبه الى امهات اصول الدين ويتذكر ما أشرف عليه من أحوال البرزخ والقيامة[٨]

(١) خرجه الامام أحمد وابن حبان والحاكم في المستدرك على شرط الشيخين ورواه الاربعة الا الترمذي من طريقين .

(٢) الميت : بالتشديد من لم يمت بعد وسيموت والميت : بالتخفيف من قد مات وفارقته الروح قاله الفراء والكسائي : قال الخليل أنشد أبو عمرو

وتسألني تفسير ميت وميت
فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت
وما الميت الا من الى القبر يحمل

(٣) المشيخة جمع شيخ وهو من تقدم في السن (٤) سوقه (السوق النزع)

(٥) عند أحمد في المسند (٦) ابن ابي الدنيا والديلمي في مسنده (٧) من كتاب الدين الخالص (٨) فيض القدير ٢ ٦٧

قال بعض أهل العلم : من علامات الموت استرخاء القدمين واعوجاج الانف وانخساف الصدغين وامتداد جلدة الوجه وعرق الجبين لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ارقبوا الميت عند وفاته فاذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهي رحمة الله قد نزلت عليه واذا غط[1] غطيط البكر[2] المخنوق وخمد لونه وأزبدت شدقاه فهو عذاب من الله نزلت به)[3].

ما يرد على الميت عند الاحتضار :

المحتضر هو من حضرته الوفاة ودنت منيته وقد دلت السنة المطهرة على أن الملائكة تنزل عليه حال الاحتضار وتجلس قريبا منه فيشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وقد يسلمون عليه ويرد عليهم السلام تارة بلفظ وتارة باشارة وتارة بقلبه اذا لم يتمكن من النطق والاشارة وقد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه[4] وفي هذه الحال يرى مكانه من الجنة أو النار فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب مما أمامه ، وأما صاحب النار الذي ختم له بسوء فهو يبشر بها وهو في تلك الاهوال)[5] وعن عطاء بن السائب انه سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول حدثني فلان بن فلان يعني به أحد أصحاب رسول الله ﷺ انه سمع النبي — صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فأكب القوم يبكون قال ما يبكيكم ؟ فقالوا :

(١) الغط هو ترديد الصوت حيث لا يجد مساغا .

(٢) البكر المخنوق : البكر بالفتح ولد الناقة والمخنوق المصاب بداء أو ريح في حلقه بحيث لا ينبعث صوته تماما كما يؤخذ من لسان العرب ٩٢/١٠ .

(٣) عند الحكيم الترمذي في نوادر الاصول كما في كتاب الدين الخالص ١٦٧/٧ .

(٤) لوامع الانوار ٢٢/٢

(٥) في الصحيحين .

كلنا نكره الموت . قال : ليس ذلك ولكنه اذا حضر[١] فأما من كان من المقربين فروح[٢] وريحان وجنة ونعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب ، وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم فاذا بشر بذلك يكره لقاء الله والله للقائه أكره)[٣] والمعنى والله أعلم ان حب الموت وكراهته انما يكون عند النزع وفي حالة الاحتضار فان كل انسان يشاهد حينئذ ما هو صائر اليه وما اعد له من نعيم أو عذاب فأهل السعادة والصلاح يوفقون للتوبة والقبول فيحبون حينئذ الموت ولقاء الله لينتقلوا الى ما أعد لهم فيرضى عنهم المولى ويجزل لهم العطاء ويعمهم بالكرامة والحسنى وأما أهل المعاصي فيكرهون الموت آنذاك لما يرون ويشاهدون من سوء المنقلب فيبعدهم الله عن رحمته ومحل كرامته[٤] عياذا بالله وقد صح أن عمل المرء يتصور له عند الاحتضار فان كان حسناً تصور له بصورة حسنة فينشرح لها صدره ويزول بها كربه . وان كان خبيثا تصور له بصورة خبيثة تزيده كَرْبا على كَرْبه وارتباكا في هذا الوقت العصيب وربما ساءت خاتمته نعوذ بالله من ذلك ونسأله الرحمة واللطف وأن يختم لنا بخاتمة السعادة انه جواد كريم .

وبما أن الموت هو السبب المخرج من هذه الدار والموصل الى دار البعث والقرار يجد المحتضر له صعوبة وسكراتٍ عند النزع وحال خروج الروح .

ومن العجب بنا معشرَ المسلمين في غفلة صامتة واعراض كلي عن ذلك وليس لهذا سبب سوى الجهل والغرور بهذه الدنيا الزائلة والدار الفانية . قال الله تعالى : (**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد**) ق/١٩

(١) اذا حضر : اذا دنا .

(٢) روح : بفتح فسكون راحة ورحمة وفرح وسرور (ريحان) بفتح فسكون رزق في الجنة نزل من حميم : هو الماء الذي تناهت حرارته (وتصليه جحيم) نصلاه نار حامية من جميع جهاته .

(٣) رواه أحمد والطبراني بسند رجاله رجال الصحيحين

(٤) الدين الخالص للعلامة محمد محمود خطاب السبكي ٥٤/٧

وصح عن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيُدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعني على سكرات الموت[1] ولما رأت ابنته فاطمه الزهراء رضي الله عنها ما حل به ـ ﷺ من السكرة والكرب الشديد صاحت منتدبة (واكرباه) فقال لها عليه الصلاة والسلام : يابنية قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدا لموافاة يوم القيامة[2] يحثها عليه الصلاة والسلام على الصبر والاحتساب وعدم التضجر والحزن والاسى فان ما نزل به من السكرة والكرب أمر لابد منه لكل احد كائنا من كان اذ هو الطريق المخرج من هذه الدار والموصل الى دار البعث والقرار (**ولتجزى كل نفس بما كسبت**) ـ الجاثية/٢٢ ـ فعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ : لم يلق ابن آدم شيئا قط خلقه الله أشد عليه من الموت ثم إن الموت لاهون مما بعده[3] وهذا دليل على صعوبة الموت وشدته حتى على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ليعُلم انه تعالى الواحد المتصرف المنفرد بالوحدانية والقهر والسلطان وأن كل ذى روح لابد له من ذوق مرارة الموت مهما كان وأيامًا بلغ (**كل نفس ذائقة الموت**) ـ آل عمران/١٨٥ ـ ثم انه لما يلقاه المحتضر عند النزع من الغمرات والسكرات فانه ينقطع صوته مع ما يجد من شدة الألم لأن الكرب قد بالغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع فيه وضعفت كل جارحة فيه فلم تبق قوة لاستغاثته اذ تجذب الروح من جميع العروق ويموت كل عضو من أعضائه تدريجيا فتبرد أولا قدماه ثم فخذاه حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره من الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة فقد صح أنَّ الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يُغَرْغِر[4] وروى ان الملكين يتراءيان له عند الموت فان

(١) خرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي .

(٢) خرجه أحمد في المسند بسند جيد كما في الفتح الرباني ٦٦/٧ .

(٣) أحمد في المسند .

(٤) خرجه الترمذي وأحمد والحاكم وابن حبان والبيهقي في شعب الايمان والغرغرة اذا بلغت الروح الحلقوم

كان صالحا اثنيا عليه وقالا جزاك الله خيرا وان كان صحبهما بشر قالا له لا جزاك الله خيرا[١]

وفي حديث البراء بن عازب التالي دليل على حضور الملائكة عند المحتضر حال احتضاره فان كان صالحا نزلت عليه ملائكة الرحمة وبشرته بالجنة قبل قبض روحه وتخرج بسهولة ولطف وسكون ثم تصعد الى الملأ الاعلى فتحوز الرضا والقبول عند الله عز وجل وأما الكافر أو المنافق اذا احتضر رأى من العذاب الوانا ومن الاهانة انواعا سواء عند خروج روحه ام عند صعودها الى السماء .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : خرجنا مع النبي ـ ﷺ في جنازة رجل من الانصار فلما انتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ـ ﷺ وجلسنا معه وكأن على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكث في الارض فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين او ثلاثا ثم قال : (ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان . قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا اخذها لم يَدَعُوهَا في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهوا به الى السماء السابعة فيقول الله عز

(١) من جمع الشتيت .

وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين[١] واعيدوه الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتُعاد رُوحه في جسده فيأتيه ملكان فيُجلسانِه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له مادينكُ ؟ فيقول ديني الاسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله ـ ﷺ فيقولان له وما علمُك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من رَوْحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيبُ الريح فيقول : ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت ؟ فوجهك الذي يأتي بالخير فيقول انا عملك الصالح . فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي . قال (وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل عليه من السماء ملائكة سودُ الوجوه معهم المسوح[٢] فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فتفرقُ في جسده فينزعها كما ينزع السَّفُّودُ[٣] من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ـ ﷺ : (**لا تفتح لهم أبواب السماء**) ـ الانعام/٤٤ ـ فيقول الله تعالى :

(١) عليين : مأخوذ من العلو فكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع وهو في السماء السابعة تحت العرش / الفتح الرباني ٧٨/٧ .

(٢) المسوح : جمع المسح بالكسر وهو اللباس الخشن الممقوت .

(٣) السفود : على وزن تنور وهي حديدة ذات شعب يشوى بها اللحم فكما يبقى فيها شيء من بقايا اللحم المحروق كذلك تصحب عند الجذب شيئا من الصوف المبلول وهي كناية عن تمزق جسمه وصعوبة خروج روحه نعوذ بالله من ذلك .

اكتبوا كتابه في سجين[1] في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله ــ ﷺ : (**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق**) ــ الحج/٣١ ــ .

فتُعادُ روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان من ربك ؟ .. فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويُضَيَّقُ عليه قبرهُ حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يَسوءُك هذا يومُك الذي كنت توعد فيقول من أنت ؟ فوجهك الذي يأتي بالشر . فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تُقِمِ الساعة رب لا تُقِمِ الساعة[2] .. رَوى هذا الحديثَ طائفة من الأئمة وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أُصول الدين في عذاب القبر ونعيمه وقبض الارواح وصعودها الى الله تعالى ثم رجوعها الى القبر ومُساءلة منكر ونكير فيه .

كما يدل هو وغيره من الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب على أنه اذا احتضر العبد الصالح حضرته ملائكة الرحمة وبشرته بالجنة قبل قبض روحه ثم تَخْرُجُ بسهولة وتصعد الى الملأ الأعلى فتحوز الرضا والقبول عند الله عز وجل ثم ترجع الى جسدها في القبر فيسأله الملكان ويجُيب أحسن الجواب ويُوَسع له في قبره ويفتح له باب الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وتكون روحه في عليين الى يوم الحشر والنشور .

واذا احتضر الكافر والمنافق حضرته ملائكة العذاب ورأى مكانه من النار

(١) سجين : مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كلما تسافل منها ضاق وكلما تعالى منها اتسع فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الاضيق الى المركز في وسط الارض السابعة . الفتح الرباني ٧/٧٨ .

(٢) رواه أحمد في المسند وابو داود السجستاني وابن ابى شيبة في المصنف والطيالسي والنسائي وهناد بن السرى في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن ماجه وابن ابى حاتم وصححه ابن مردويه والحاكم ورواه البيهقي في كتابه عذاب القبر وابن حبان وابو عوانة الاسفرائيني .

فتصعد روحه الى السماء وتغلق دونها فترجع الى جسدها مزودةً بالمقت والغضب واللعنات من رب البريات فيسأله الملكان وهما على أقبح صورة لان خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين اليهما جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتَثَبُّتِهِ وتَبَصُّرِه وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يُبْعث[1] فيسألانِهِ فلا يجيب وحينئذ يذيقانه من أصناف العذاب ما يشيب لهوله الطفل الصغير ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ ويُفْرَشُ له من النار ويفتح له باب من جهنم وتكون روحه في سجين الى يوم الدين .

(١) من قول الحكيم الترمذي كما في لوامع الانوار ٢/٨ .

مصير الروح .. بعد خروجها من البدن إلى يوم القيامة

ان الروح سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمره يهبها الله لمن قُدِّرَتْ له الحياة من كل كائن حي وينتزعها ممن أراد له الممات وقد اختلف في مصيرها ومستقرها ما بين الموت الى يوم القيامة على تسعة أقوال أوردها العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الروح وبسط أدلة كل قول منها ثم قال في خاتمة البحث ما نصه :

والصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الادلة فان كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين بالملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون أيضا في منازلهم كما رآهم النبي ـ ﷺ ليلة الاسراء .

ومنها أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء الى النبي ـ ﷺ فقال يا رسول الله : مالي ان قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة . فلما ولى قال الا الذي سارني به جبريل آنفا ـ ومنهم أرواح محبوسة على باب الجنة كما في حديث آخر (رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة) .

ومنهم من يكون مقره على باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما (والشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرةَ وعشية)[1]

(١) رواه الامام أحمد

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه لما قطعتا في سبيل الله بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء .

ومنها أرواح محبوسة في قبورها كصاحب الشملة التى غلها ثم استُشْهِدَ فقالوا هنيئا له (الجنة) فقال النبي ـــ ﷺ كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التى غلها لَتشتِعلُ عليه في قبره نارا) ومنهم من يكون محبوسا في الأرض لم تعلُ روحه الى الملأ الأعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان الانفس الارضية لا تجامع الأنفس السماوية كما أنها لا تجامعها في الدنيا[1] فالروح بعد مفارقتها للبدن تلحق بأشكالها وأصحاب عملها فالمرء مع من أحب في هذه الدار وفي البرزخ ويوم القيامة .

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال باجسادها في قبورها ليحصل لها من النعيم أو العذاب ما كتب لها واذا أمعنت النظر في السنن والآثار عرفت جميع ذلك وأنه لا تعارض بينها لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا وأنها تنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهنالك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة والندم .

وهنالك اللذة والراحة والنعيم والانطلاق وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فان لهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها .

(١) اشارة الى الحديث الصحيح (الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) رواه أحمد ومسلم وابو داود من حديث ابى هريرة والبخاري من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود كما في لوامع الانوار ٢/٢٤ .

الـدار الاولى :

بطن الام وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن .

الـدار الثانية :

هي هذه الدار التي نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

الـدار الثالثة :

دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليه كنسبة هذه الدارِ الى الدار الاولى بطن الام وهو ما يسميه العلم الحديث (بالعالم غير المنظور) وأُثبت أنه أعظم من عالَم الأبدان وأحكامه وآثاره أعجب من آثاره .

الـدار الرابعة :

دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها والله تعالى بقدرته وحكمته ينقل هذه الأنفس في هذه الدور طَبَقاً بعد طَبَق ـــ أي حالا بعد حال حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيُرهَا وفيها استقرارها وقبلها في تلك الدور كانت مسافرة تقطع كل حين مراحل من أنفاسها الى دار قرارها التى لا تليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل والموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى فتَبارَكَ الله فاطرُها ومنشئُها ومميتُها ومحييها ومسعدُها ومشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادَتِهَا وشقاوتِها كما فاَوت بينها في مراتب علومها واعمالها وقوامها وأخلاقها فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[1]

الروح باقية لا يعتريها فناء :

أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وانطوى عصر صحابة رسول

(١) من كتاب الروح لابن القيم ١٧١ ـــ ١٧٣ بتصرف .

الله ـــ ﷺ والتابعين وتابعيهم على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة وهذا معلوم بالإضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالإضطرار من دينهم أن العالم حادث وان مَعاد الأبدان واقع وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ومما يجب إعتقاده أنها باقية لا يلحقها عدم ولا فَنَاء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان .

وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها الى أن يُرْجعها الله تعالى اليها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**) آل عمران/١٦٩ ـــ مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت . فموتها هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان أريد بموتها هذا القدرُ فهي ذائقة الموت وان اريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عـذاب .

وصعق الارواح عند النفح في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح (ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله تعالى لفصل القضاء واشرقت الارض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى : (**فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**) الطور/٤٥ ـــ ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى[١] .

وانما الموت والفناء للأبدان فعن أبي هرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم : (ليس من الإنسان شيُء الا يبلى الا عظمُ واحد وهو عجب الذَّنَبِ ومنه يُرَكَّبُ الخلق)[٢] .

(١) من كتاب الروح ٤١٤ ـــ ٤٩ ـــ ٥٠ مخلصا

(٢) رواه مسلم وابن ماجه .

وليس يبقى غيرُ عَجْبِ الذَّنَبِ

وما شهيـــدٌ باليـــا ولا نبِيْ[1]

وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن ماهية عجب الذنب فقال : (مثل حبة خردل ومنه نشؤه[2] وعجب الذنب هذا هو جزء لطيف في أصل الصلب وقيل هو رأس العُصْعُصِ أول ما يخلق من الانسان ثم يبقى بعد الموت والبِلى لِيُرَكّبَ الله الخلق منه)[3] .

وأما الانبياء فقد حرم الله على الارض أن تأكل أجسادهم كما في الحديث الصحيح عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة عليَّ) قالوا يا رسول الله كيف وقد أرِمْتَ ؟ أي بُلِيْتَ ــ فقال ــ : (ان الله عز وجل حرم على الارض أجساد الأنبياءَ[4] لأنها تشرفت بوقع أقدامهم عليها وتفتخر بضمهم اليها .. ولأنهم تناولوا ما تناولوا منها بحق وعدل ولأن الله تعالى سخرها لهم لإقامة العدل عليها فلم يكن لها عليهم سلطانٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومثلهم الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدَد من دفنهم كما هم لم يتغيروا فقد ذكر الامام مالك رحمه الله عن عبد الرحمن بن صعصعة أنه بلغه ان عمرو بن الجَموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون

(١) من المنظومة المسماة بالزبد لابن رسلان .

(٢) رواه ابن ابى داود في كتاب البعث من حديث ابى سعيد الخدري

(٣) قاله الثعالبي في العلوم الفاخرة ١/١٧٢ .

(٤) خرجه أحمد وابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال على شرط البخاري كما في الفيض القدير ٣/٥٣

سنة[٢] وذلك في أيام خلافة معاوية رضي الله عنه على ما جاء في مغازي ابن اسحاق وغيره .

وفي جامع الترمذي في قصة أصحاب الاخدود أن الغلام الذي قتله الملك دفن ثم اخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صِدغه كما وضعها حين قتل[١] .

كما في قصة الرجل النجراني الذي حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجد عبد الله بن التامر تحتُ دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخذت يده عنها انبعث دما واذا ارسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه (ربي الله) فكتب فيه الى عمر رضي الله عنه يخبره بأمره فكتب عمر اليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا[٢] .

(١) أخرجه أيضا مسلم وأحمد والنسائي

(٢) قاله ابن اسحق في مغازيه عن عبد الله بن ابى بكر بن محمد عمرو بن حزم كما في تحفة الاحوذي ٩/٢٦٥ .

من المسائل المتعلقة بالروح

١ ــ معرفة الموتى بزيارة الأحياء لهم :

قال الحافظ ابن القيم قال ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (مامن مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يردَّ السلام)

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه متعددة أنه أمر بقتلى بدر ــ أي من المشركين ــ فألقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من أقوام جيفوا فقال : والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا[1] .

كما ثبت عنه ــ صلى الله عليه وآله وسلم أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه[2]/وقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامته اذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد ولو أنهم لا يشعرون به لما صح تسمية المسلم عليهم زائرا فان المزور ان لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السلام عليهم أيضا فان السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم أمته أيضا اذا زاروا القبور أن يقولوا (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا

(١) من كتاب الروح ص ٥

(٢) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وعن ابى هريرة مثله رواه البزار واسناده حسن كما في مجمع الزوائد ٥٤/٣

ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية) وهذا السلام والخطاب لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وان لم يسمع المسلم الرد .

والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر .

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن ابى الدنيا في كتاب القبور (باب معرفة الموتى بزيارة الاحياء) حدثنا محمد بن عون حدثنا يحى بن يمان عن عبد الله ابن سمعان عن زيد بن أسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم)[١] .

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فعن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلا وحول وجهه فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكذا فأقبل بوجهه فقال : ان أفضل مانعد شهادة أن لا اله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله الى أن قال : فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتمونى فسنوا عليّ التراب سنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي)[٢] .

فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم[٣] وقد تواطأت المرائي من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين وتابعيهم مثل قصة الصعب بن جثامة الذي رآه عوف بن مالك بعد وفاته فيما يرى النائم فسأله قائلا ما فعل بكم ؟ قال غفر لنا بعد المصائب قال عوف ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت أي أخي ماهذا ؟ قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني

(١) الحديث ضعيف لكن له شواهد

(٢) رواه مسلم .

(٣) قاله العلامة ابن القيم رحمه الله (الروح) (١٣) .

فأعطوه اياها ثم قال واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي الا الحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام فلما أصبح عوف أتى أهل الصعب وفتش عن الصرة فيها الدنانير فوجدها وبعث بها الى اليهودي الى آخر القصة المسطرة في كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله وغيره كقصة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه حيث كان يوم اليمامة خرج مع خالد ابن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى ابى حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ــ ﷺ ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية أياك أن تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طَوْله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رجل فأت خالدا فمره أن يبعث الي درعي فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها وحدث ابا بكر برؤياه فأجاز وصيته قال ولا نعلم احداً اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله[1]

(١) روى هذه القصة العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح ص ٢٠ ــ ٢١

تلاقي أرواح الموتى وتزوارها

يعلم مما مر من حيث الجملة أن الأرواح قسمان أرواح معذبة وأرواح منعمة فالمعذبة في شغل شاغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاق والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاق وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا وتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم في الرفيق الأعلى[1] .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مامن نبي يمرض الاخير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحة شديدة فسمعته يقول : (**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**) ــ النساء/٦٩ ــ فعلمت انه خير[2] .

وهذا معنى قوله ــ صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر (اللهم في الرفيق الاعلى) ثلاثا قال تعالى : (**ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**) . النساء/٦٩

وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث فقد ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال : (المرء مع من أحب) قال أنس رضي الله عنه فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا

(١) من كتاب الروح ٢٣

(٢) رواه الامامان البخاري ومسلم

الحديث[١] وفي قصة الاسراء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما أسرى بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتذاكروا الساعة وهذا نص في تذاكر الارواح العلم[٢].

وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الارواح وتعارفها في البرزخ فقد ورد أنه لما مات بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه وجدت عليه امه وجدا شديدا فقالت : يارسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الارواح ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم : (نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر) فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاءته أم بشر فقالت : يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول : اقرأ على بشر السـلام[٣].

وعن معاوية بن يحى عن عبد الله بن سلمة أن أبا رهم المسمعي حدثه أن أبا أيوب الانصاري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا : انا لله وانا اليه راجعون ذهب الى امه الهاوية فبئست الام بئست المربية)[٤].

والآثار في هذا الشأن كثيرة جدا كما قد تواترت المرائي في ذلك أيضا مؤكدة ما ورد من الاخبار والآثار والله أعلم .

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٣

(٢) رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما كما في كتاب الروح ص ٢٥

(٣) رواه أبو بكر ابن ابى الدنيا في كتابه القبور كما في كتاب الروح /٢٦ .

(٤) رواه ابن مردويه وابن جرير بأخصر من هذا عن الاشعث عن عبد الله الاعمى كما في تفسير ابن كثير ٤/٥٧٦

التقاء أرواح الأحياء وأرواح الأموات

شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها الا الله تعالى والحس والواقع من أعدل الشهود بها فتلتقي أرواح الاحياء والاموات كما تلتقي أرواح الاحياء وقد قال الله تعالى : (**الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الزمر / ٤٢

روى أبو عبد الله بن مندة بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية انه قال : بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء الى أجسادها

كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده الى السدى رحمه الله تعالى في قوله تعالى : (والتي لم تمت في منامها) قال يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت ان ترجع الى جسده فتحبس .

وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبره في الماضي والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته وأبلغ من هذا أنه يخبره بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين وأبلغ من هذا أيضا أنه يخبره أنك تأتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبر وربما أخبره عن امور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له وقصة ثابت بن قيس بن شماس وإخباره لمن رآه بدرعه وما عليه من الدين .

وقال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي فقال

أحدهما للآخر ان مت قبلي فالقني فاخبرني ما لقيت من ربك وان أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك فقال الآخر وهل تلتقي الأموات والأحياء ؟ قال نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث تشاء قال فمات فلان فلقيه في المنام فقال توكل وأبشر فلم أرى مثل التوكل قط .

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتهي ان أرى عمر رضي الله عنه في المنام فما رأيته الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أو ان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا أن لقيت رؤفا رحيما(١) .

ولما مات عاصم الجحدري رآه بعض أهله في المنام فقال أليس قدمِتَّ ؟ قال بلى . قال : فأين أنت . قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبي بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم . قال : قلت أجسادكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات بليت الأجساد وانما تتلاقى الأرواح .

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام حافظين جليلين قال أبو أحمد البريدي فرأيتهما بعد موتهما فقال أبا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال وفقك الله لحفظ ما أقول :

حباني الهي في الجنان بقُبَّـــة
لها ألف باب من لُجَينْ وجوهرا
وقال لي الرحمن ياشعـبة الذي
تبحر في جمع العلوم فأكثـــرا
تنعم بقربي انني عنـــك ذو رضـا
وعن عبدي القوام في الليل مسعرا

(١) من كتاب الروح للعلامة ابن القيم ص ٢٨ ــ ٣٠ ــ مخلصا

كفا مسعرا عزا بـأن سـيزورني
وأكشف عن وجهي الكريم لينظرا
وهذا فعـالي بالذين تنسكـوا
ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا

هذا وباب المرائي واسع وطويل وفيه الغرائب والاعاجيب فقد يرى انسان صاحبا له أو قريبا فيخبره بأمر لا يعلمه الا صاحب الرؤيا وذلك كأن يخبره بمال دفنه أو يحذره من أمر يقع أو يبشره بأمر يوجد فيقع كما قال أو يخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله الى كذا وكذا فيقع كما أخبر أو يخبره بخصب أو جذب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرض له فوقع كما أخبر مما لا يخطر ببال النفس ولا لديها علامة ولا أمارة ما.[1]

والمقصود أن التقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فان تجرد النفس وانقطاعها عن الشواغل البدنية يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بها بدونه لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله ولا على تفاصيل ماأخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية وتفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء والصفات والأفعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحي ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية .

فان قيل فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئي يقظانا وروحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما ؟ قيل هذا اما أن يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه كما قال حبيب بن أوس :

(١) من كتاب الروح للحافظ ابن القيم رحمه الله ٣٤ ــ ٤١/٣٨

سقياً لِطَيْفِكَ من زَوْر أتاك به
حديث نفسك عنه وهـو مشغـول

وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالاخرى فيشعر كل واحد منهما ببعض مايحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات .

قال بعض السلف إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير وشر في دينه ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وينذره من معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب باسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقى الأرواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه أو رؤى له ؟ وكم ممن استغنى وأصاب كنزا ودفينا عن منام[1] .

فهذا عبد المطلب دل في النوم على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك وهذا عمير بن وهب أتى في منامه فقيل له قم الى موضع كذا وكذا من البيت فأحفره تجد مال أبيك وكان أبوه قد دفن مالا ومات ولم يوص به فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم وتبرًا كثيرا فقضى دينه

(١) من كتاب الروح للعلامة ابن القيم ص ٢٨ — ٣٠ — ملخص .

وحسن حاله وحال أهل بيته وكان ذلك عقيب اسلامه فقالت له الصغرى من بناته ياأبت ربنا هذا الذي حبانا بدينه خير من هبل والعزى ولولا أنه كذلك ماورثك هذا المال وانما عبدتَه أياما قلائل، وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه في منامه فكثير جدا . قال ابن القيم رحمه الله وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل الى شيخ الاسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجابه بالصواب وبالجملة فهذا أمر لا ينكره الا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها وبالله التوفيق[1]

(١) من كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله ٤٦ ــ ٤٨ مخلصا

القبر وفتنته

القبر هو المقر الأخير للانسان بعد موته ويسمى جدثا . قال تعالى : « **فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون** » — ٥١ — يس — ويقال رمس قال الشاعر :

وماينفع المرموس عمران قبـــره
اذا كان فيــه جسمه يتهـــدم

وقد أرشد الله تعالى ابن آدم الأول قابيل الى دفن أخيه هابيل لما قتله وجلس يبكي عند رأسه فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه اذ أقبل غرابان يقتتلان فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه فيها ففعل قابيل بأخيه هابيل كذلك أي تعلم منه سنة الدفن فكان ذلك أصلا في دفن الميت .

وفي التنزيل يقول تعالى : (**ثم أماته فأقبره**) عبس/٢١ — أى جعل له قبرا يوارى فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطيور والسباع .

ولهذا استحب توسيعه وتحسينه وتعميقه لقوله — صلى الله عليه وسلم (احفروا وأعمقوا وأحسنوا وأوسعوا)[١].

والقبر بداية الطريق لدار البرزخ كما قيل :

القبر بعد المـــوت للانســـــان
هو الطـــريق للمقـــر الثـــانى[٢]

(١) رواه الامام أحمد وابو داود والنسائي والبيهقي عن هشام عن بن عامر.

(٢) من أبيات التثبيت للجلال السيوطي .

فان الله تعالى بحكمته وقدرته جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار . والبرزخ هو الذى اراده الله تعالى بقوله : (**ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون**) ــ المؤمنون/١٠٠ ــ أي أمامهم حاجز بينهم وبين الرجعة[1] الى يوم البعث وهو في اللغة الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى يوم القيامة من مات دخله[2] وهو أمر غيبي لا يعرف كنهه وحقيقته الا الذى خلقه واخبر عنه وجعله مقرا لعبيده فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروّح والنعيم مطلقة غير محبوسة وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب محبوسة لا تسعى في الملكوت والبرزخ هو المقصود من أدلة نعيم القبر وفتنته التي تواترت به الاخبار مفيدة العلم القطعي بحيث لم تترك سبيلا الى الريب والتردد فقد تواترت الاحاديث بذلك مؤكدة من رواية أكثر من خمسين صحابيا من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنهم[3] منها حديث البراء بن عازب الطويل الذي أوردناه في باب مايرد على الميت عند الاحتضار وفيه من رواية أبي داود (يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربي الله . فيقولان مادينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة والبسوه من الجنة ويفسح له فيه مد بصره) وقال الكافر : (فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري) الى أن قال : (فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار . قال : فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه) .

(١) كما في تفسير ابن كثير ٣/٢٥٦/م ــ مصطفى الحلبي .

(٢) قاله في القاموس ولسان العرب .

(٣) اورد الجلال السيوطي هؤلاء الرواة ثم ساق احاديثهم في كتابيه شرح الصدور والدر المنثور

وله شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرهما لكنا آثرنا الاختصار بهذا القدر خشية الاطالة والملل .

والمقصود وجوبُ اعتقاد ذلك وعدم التكلم في كيفيته اذ ليس للعقل سبيل الى ذلك لكونه لا عهد له به في هذه الدار فان الميت اذا وضع في لحده وسوى عليه التراب لا يحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه بل لو نقر له حجر واودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصولهم اليه فان هذه الأجسام الكثيفة لا تمنع خرق الارواح اللطيفة لها بل الجن لا يمنعها ذلك وقد جعل الله تعالى الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير[1].

كما لا يمنع عقلا أن يعيد الله الحياة في الجسد الميت كله أو بعضه بعد اعادة الروح اليه أو الى جزء منه لمساءلة الملكين ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو احرق حتى صار رمادا ونسف في الريح فكما أن الله تعالى قادر أن يعيد الحياة الى جزء أو أجزاء منه أو كله وان أكلته السباع أو الحيتان قُبِرَ أو لم يُقبر فان عودَ الروح الى الجسد في القبر ليس على الوجه المعهود لنا في الدنيا بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا فان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلقات متغايرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا . (الثاني تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض) (الثالث تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه) (الرابع تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة فانه ورد ردُها اليه وقت سلام المسلم وورد أنه يسمع خفق نعالهم ــ أي مشيعيه ــ حين يولون عنه وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة حياة كاملة) (الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا)[2]

(١) من كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله ص ٩٦ (٢) الروح ص ٦٣/ والعقيدة الطحاوية ص /٢٩٧/م العاصمه .

ضغطة القبر وضمته

المراد بضغطة القبر هو التقاء جانبي القبر على جسد الميت وسببها أنه مامن أحد الا وقد أَلَمَّ بخطيئةٍ مّا فان كان صالحا جعلت هذه الضغطة جزاء له ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه .

وأما الأنبياء عليهم السلام فلا يعلم أن لهم في قبورهم ضغطا ولا سؤلا لعصمتهم[1] وقال محمد التميمي رحمه الله : ضمة القبر انما أصلها أن الأرض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رُدوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كان مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها[2] فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال (**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**)[3] الآية ٢٧ من سورة ابراهيم ــ

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرجنا مع النبي ــ ﷺ يوما الى سعد بن معاذ رضي الله عنه حين توفى فلما صلى عليه النبي ــ ﷺ ــ ووضع في قبره وسوى عليه سبح النبي ــ ﷺ ــ فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يارسول الله لم سبحت ثم كبرت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه[4]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (هذا الذي تحرك لموته عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف

(١) قاله الحكيم الترمذي رحمه الله .

(٢) من لوامع الانوار ١٦/٢ .

(٣) رواه البزار ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد ٥٣/٣ .

(٤) الامام أحمد والطبراني في الكبير بسند جيد والترمذي والبيهقي .

ملك من الملائكة لقد ضم ثم فرج الله عنه)[١]

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (ان للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ ؟)[٢]

والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة وهي تدل على ثبوت ضغطة القبر مطلقا وأنه لا ينجو منها صالح ولا طالح الا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لعصمتهم وان نعيم القبر للمؤمنين الصالحين ..

(عـذاب القبر ونعيمـه :)

ان عذاب القبر ونعيمه هو عذاب البرزخ ونعيمُهُ وهو ما بين الدنيا والدار الآخرة وانما اضيف الى القبر باعتبار الغالب فالمصلوب والغريق والحريق وأكيل السباع والطيور والحيتان له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطُه حتى لو عُلق العاصي على رؤس الأشجار في مهاب الرياح لاصاب جسده من عذاب البرزخ حظه .

ولو القي الصالح في أَتُّونٍ[٣] من النار لاصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على ذاك نارا وسموما فعناصر العالَم ومواده منقادة لربها وفاطرها يصرفها كيف يشاء كما صرفها فيما نشاهد بخلق هذه القوى فيها بعد أن لم تكن[٤] فتبارك الله وتعالت أسماؤه وجلت عظمته . هذا وقد دل الكتاب العزيز على ثبوت عذاب القبر ونعيمه . قال الله تعالى : (**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**) ــ ٤٦/غافر ــ أى تعرض أرواحهم على النار صباحا ومساء مابقيت الدنيا الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت ارواحهم

(١) النسائي والبيهقي في كتاب عذاب القبر .

(٢) الامام أحمد والبيهقي باسناد جيد .

(٣) أتون بتشديد التاء الموقد والعامة تخففه وجمعه أتاتين اه من الدين الخالص ٨/٢٥ ــ الهامش .

(٤) السروح ١٠٨ .

وأجسادهم في النار . ولهذا قال : (**ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**) فذكر عذاب البرزخ والدار والآخرة ذكرا صريحا لا يحتمل غيرهما .

وقال تعالى : (**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون**) ــ ٢١/السجدة ــ احتج بهذه الآية الكريمة جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما على ثبوت عذاب القبر وذلك لأن قوله تعالى : (**من العذاب الأدنى**) مصائب الدنيا وعذاب القبر وفتنته و (العذاب الأكبر) عذاب الآخرة .

وأما السنة فقد تواترت فيها الأحاديث الموضحة لدلالة الكتاب على ذلك فمنها حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فاستوهبتها طيبا فوهبت لها عائشة فقالت أجارك الله من عذاب القبر . قالت فوقع في نفسي من ذلك حتى جاء النبي ــ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له . قلت يارسول الله : ان للقبر عذابا ؟ قال : نعم ، (**انهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم**)[1].

ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أكثر عذاب القبر من البول[2]) .

وعن ابن عباس رضيَ الله عنهما أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال (انهما ليعذبان ومايعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة .. الحديث[3]) .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النبي ــ ﷺ ــ في حائط لبني النجار على بغلته ونحن معه اذ حادت فكادت تلقيه فاذا أقبر خمسة أو ستة فقال من يعرف أصحاب هؤلاء القبور ؟ فقال رجل أنا يارسول الله فقال فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا في الاشراك . قال : ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر الذى أسمع منهم أقبل

(١) أخرجه الامام البخاري والامام أحمد والنسائي انظر الفتح الرباني ١١٨/٨

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم وابن خزيمه .

(٣) في الصحيحين وتمامه (ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ثم غرز على كل قبر منها واحدة قالوا لم يارسول الله ؟ قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) .

علينا فقال (تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن .. الحديث[1]) .

وقال اذا فرغ أحدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال[2]) .

ومنها حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال : خرج النبي ـ ﷺ ـ وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبورها[3]) .

وفي التذكرة للحافظ القرطبي قال حدثنا أبو محمد بن عبد الحق الاشبيلي : حدثنا الفقيه الحكيم أبو الحكيم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتا في قريتهم شرق اشبيلية فلما فرغوا من دفنه قصدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا الدابة قد أقبلت مسرعة الى القبر فجعلت اذنها عليه تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت اذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرارا قال : فذكرت عذاب القبر وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : (وانها لتعذب في قبورها عذابا تسمعه الدواب أو تسمعه البهائم[4]

اذا علمت ذلك فان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل الى روحه من العذاب مايصل الى المقبور وماورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ونحو ذلك يجب اعتقاد ثبوت ذلك والايمان به وعدم البحث في كيفيته اذ لا سبيل للعقل الى ذلك لكونها لا عهد للانسان في هذه الدار .

(١) مسلم في صحيحه وابن ابى شيبة في مصنفه
(٢) في صحيح مسلم وجميع السنن .
(٣) في الصحيحين .
(٤) كما في كتاب الروح ص ٧٨ .

بهذا قال أهل السنة والجماعة لانه أمر دل عليه الكتاب والسنة والعقل السليم والفطرة المستقيمة ولم ينكره سوى بعض من طوائف الزندقة والالحاد ممن طبع الله على قلبه وعقله[1] حيث أنكروا عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانكروا اجلاس الميت في قبره .

ومن سخافة عقولهم أنهم وضعوا على صدر الميت في قبره زئبقا فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيران وأجنبوا وأجلبوا من مثل هذه الوساوس والترهات وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئه ناقله وقالوا : نحن نري المصلوب على خشبة المشنقة المدة الطويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا وقالوا : ان من افترسته السباع وتناهشته الطيور وتفرقت اجزاؤه في حواصلها وأجواف السباع وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف يسأل وكيف يصير القبر على مثل هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكيف يتسع قبره أو يضيق والحالة هذه واكثروا من هذا الهراء والهذيان[2] فتصدى لهؤلاء الزنادقة الملحدين أئمة الحق والدين من علماء السنة وامناء الامة بما يقمع المفترين منهم ويقلع الشاكين وممن تصدى لاولئك الامام الحافظ والعلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح فأجاب باجوبة عدة نقتطف منها مايلي :

أولا : ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تخبر بما تحيله العقول بل إخبارهم قسمان ، أحدهما مايشهد العقل والفطرة السليمة به . والثاني مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا اذ الأنبياء لاتأتي بمحالات العقول بل بمحاراتها فكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين أما خطأ في النقل أو فساد في العقل .

(١) ممن انكر عذاب القبر ونعيمه ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل وهو قول بشر المريسي من أهل الحيرة والضلال

(٢) لوامع الانوار ج ٢ ص ٢٠

ثانيا : أن يضم الى خبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلا مالا يتحمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده من الهدى والبيان اذ باهمال ذلك حصل ماحصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب .

ثالثا : أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الانسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه فالعقوبات الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتبعية وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدانُ تبع لها فكما تبعت الأرواحُ الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لأسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الأبدانُ الأرواح في نعيمها وعذابها في البرزخ فكان العذاب والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدنُ تابعٌ للروح في ذلك عكس دار الدنيا .

فاذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على الأرواح والأجساد باديا ظاهرا أصلا .

رابعا ـ ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وماكان متصلا بها من عذاب البرزخ ونعيمه غيبا وحجبه عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ليتميز الذين آمنوا بالغيب من غيرهم فأول ذلك نزول الملائكة على المحتضر على الهيئات التي تقدمت في حديث البراء الطويل السالف الذكر وغيره من الاحاديث الصحيحة الدالة على جلوسهم قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم الأكفان والحنوط إمّا من الجنة وإمّا من النار ويُؤَمِّنُونَ على دعاء الحاضرين بالخير والشر ونحو ذلك وكل من امتدت به الحياة في هذه الدار رأى من ذلك مايغنيه

ويكفي ، من ذلك قوله تعالى : (**فلو لا اذا بلغت الحلقومَ وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقربُ اليه منكم ولكن لا تُبصِرُونَ**) ــ الواقعة/٨٥ ــ أى أقرب اليه بملائكتنا ورسلنا وغير ذلك من قبض الروح وخروجها والشعاع الذي يخرج معها والروح الطيب والخبيث وهو غير مرئي لنا ولا محسوس وهو في هذه الدار ثم تأتي الروح فتشاهد غسل الميت وتكفينه وحمله فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم قال : اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبونَ بها ويسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصَعُفَ[1] وفي رواية لصَعِق.

خامسا : ان النار التي في القبر ليست من جنس نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد من نار الدنيا الا أن شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الرجلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونعيم والآخر في حفرة وعذاب اليم فقدرة الله أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرين لا يعلمون .

وقد ثبت نحو من هذا في هذه الدار وأَطْلَعَ اللَّهُ عليه بعض من اختار فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا يكلمه تارة وتارة يأتيه بالوحي مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين وكان يدارسه القرآن ويشاهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من النبي ــ ﷺ ــ من الاحوال الاضطرارية والطبيعية مايعلم بها مجيئه قطعا من غير إخبار ولا يسمعون كلامه ولا يرون شخصه وربما رآه بعضهم كما جاء في الصحيح فقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتصيح بهم ويراهم الكفار ويسمعون كما أخبر كثير منهم بذلك بعد إسلامه ولا يسمع المسلمون ولا يرون .

(١) اخرجه الامام البخارى والامام أحمد والبيهقى

وكل من له نظر في كتب السنة الصحيحة قطع بذلك وهذه الجن تتكلم بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعها فالعبد اضعفُ بصرا وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثير ممن أشهده الله ذلك ضعُف وغُشيَ عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كُشِفَ قناع قلبه فمات .

سادسا : من الممكن في الحكمة الالهية اسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين رؤية ذلك وليس بعزيز على من أوجد هذا الإنسان من العدم وجعله حيا عالما سميعا بصيرا بعد أن لم يكن شيئا مذكورا أن يجمع اجزاءَه بعد أن تفرقت رمادا في هواء البر والبحر وفي حواصل الطيور وبطون السباع ويجعل للروح اتصالا لتحس بالعذاب أو النعيم فقد أرانا الله أعجب من ذلك بأن جعل في الجمادات شعورا وادراكا فقد صح أن النبي ﷺ كان يسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[1] وأما حنين الجذع فأشهر من أن يذكر[2] كما كان يسمع تسليم الحجر والشجر عليه[3] وقد علمنا من طرق صحاح أن أنموذجا من هذا وقع في الدنيا في حالة نوم الانسان فان ماينعم به أو يعذب يجرى على روحه أصلا والبدنُ تبعٌ له وقد يتعدى أثره الى البدن تأثيرا مشاهدا فيرى النائم انه عذب أو نعم فيصبح وأثر ذلك في جسمه فقد ذكر الحارث بن أسد المحاسبي وأصبغ وخلف بن قاسم وجماعة عن سعيد بن سلمة قال بينما امرأة عند عائشة اذ قالت بايعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم على أن لا أُشرك بالله شيئا ولا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه بين يدي ورجلي ولا أعصى في معروف فوفيت لربي فوالله لا يعذبني الله تعالى فأتاها في المنام ملك فقال كلا إنك تتبرجين وزينتك تُبدين وخيرك تكدرين وجارك تؤذين وزوجك تعصين ثم وضع اصابعه الخمس على وجهها فقال خمس بخمس ولو زدت زدناك فأصبح

(١) انظر تيسير الوصول ٣/٢٣٠ .

(٢) انظر تيسير الوصول ٣/٢٣٠ .

(٣) مسلم والترمذى كما في تيسير الوصول ٣/٣٢٩

وأثرُ الأصابع في وجهها[1] واعجب من ذلك أنك ربما رأيت النائم يقوم ويضرب ويبطش ويتكلم كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيً من ذلك لكن الحكمُ لمَّا جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ فاذا كانت الروح هنا تتألم وتتنعم فيصل ذلك الى البدن بطريق التبعية ففي البرزخ اقوى فاذا كان يوم الحشر صار الحكم على الأرواح والأجساد لان كلا منهما أصل في ذلك وماذاك الا لأن محل العذاب والنعيم على الروح والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة فاذا مات العبد تبقى روحُه منعمة أو معذبة تارة منفردة عن البدن وتارة متصلة به فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحالة مجتمعين فاذا كان يومُ القيامة الكبرى أُعيدت الأرواح الى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة ، ومعادُ الأبدان متفقٌ عليه بين أهل الشرائع المسلمين منهم وأهل الكتاب .

فمتى ما أعطى الإنسان هذا الموضوع حقه من الإيمان والتفكير والإمعان لاحت له اسرار أخبار الرسول ــ صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه .

ومن أشكل عليه شيً من ذلك فمن غِلَظ كَبِده ورداءة فهمه ونقده . وأغربُ من ذلك انك ترى النائمين في فراش واحد هذا روحه في نعيم وهذا روحه في عذاب وربما استيقاظا أو احدهما وأثر ذلك موجود ولا شعور لأحدهما بما فيه الآخر .

وسر ذلك كلِه ان مافي البرزخ من الخُضرة والنار والسعة والضيق ليس من جنس المعهود في الدنيا فلا مانع من سؤال الملكين الميتَ ولو كان ملقى بين الناس أو على خشبة المشنقة مصلوبا معذبا أو منعما ولا يحس الناس بذلك فهذا الواحد منا ينام الى جنبه صاحبه فيعذب في النوم بما قد يرى أثره عليه بعد أن يستيقظ وليس عند من الى جنبه علم بذلك البتة.

(١) انظر الفتح الرباني ١٣٩/٨ .

وقد أرانا الله تعالى من آثار قدرته في هذه الدار ماهو أعجب من ذلك لكن النفوسَ مولَعَة بالتكذيب بما لم تحط به علما الا من وفقه الله وعصمه فكيف يُنْكَرُ حكمة إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة مايريد الله تعالى اخفاءهُ حتى اذا كشف الغطاء شاهدوه عيانا وقد يُطْلع الله على ذلك بعض عبيده في هذه الدار ولو أطلع الكل عليه لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الحديث الصحيح الذي تقدمت الاشارة به .

عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال بينما اسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري اعرف اسمي أو دعاني بدعاية العرب ؟ وخرج رجل من ذلك الحفير وفي يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط حتى عاد الى حفرته فأتيت النبي ـــ صلى الله عليه وسلم مسرعا فأخبرته فقال أو قد رأيته ؟ قلت : نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وذلك عذابه الى يوم القيامة[١].

وعن هشام بن عروة رضي الله عنه عن أبيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر بمقبرة فاذا برجل خرج من قبره يلتهب نارا مصفدا في الحديد فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح وخرج آخر يتلوه فقال ياعبد الله لا تنضح ياعبد الله لا تنضح وغشي على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج[٢] وأصبح وقد أبيض شعره فأخبر عثمان رضي الله عنه بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده[٣].

وحاصل ذلك أن ما أخبر به الصادق المصدوق ـــ صلى الله عليه وسلم وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تُحِلْه العقول وحيث كان

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٣/٥٧ وذكره الحافظ الوائلي في كتابه الابانة من حديث مالك بن مغول ورواه أيضا ابو عمر بن عبد البر في التمهيد بسنده كما في العلوم الفاخرة ١/٨ .

(٢) العرج : موضع بطريق المدينة .

(٣) خرجه ابن ابى الدنيا في كتاب القبور .

ممكنا فمعارضةُ صحيح الاخبار الحادّ وزندقـة وزيغ وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة والجماعة . قال المروذي : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عذابُ القبر حق لا ينكره الا ضال مضل وقال حنبل : قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي ﷺ اسناده جيد اقررنا به اذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال تعالى : ﴿ وماأتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهو ﴾[1] ـ ٧/الحشر ـ وبالجملة فأحوال أهل المقابر على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم فليس تنقاس أحوال البرزخ والدار الآخرة على أحوال الدنيا وهذا مالا خلاف فيه ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف ماهنالك ، والذين جاءوا بهذه الأخبار هم الذين جاءونا بالصلوات الخمس على التفصيل وغيرها من الأحكام فكما وجب تصديقهم فيما نقلوه من أمور الآخرة اذ أن مااخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم من ذلك حق وصدق وجب التصديق به وعدم التعرض لكيفيته اذ لا تسعه العقول البشرية .

ولما تكلم ابن ابى جمرة رحمه الله على حديث الرؤيا المشهور والمخرَّج في الصحيح المشتمل على أحوال الآخرة قال فيه من الفقه الايمانُ بالبعث بعد الموت وبكل ماورد من الأخبار في ذلك اليوم العظيم والتصديق بذلك وأنه حق كما أخبر ـ ﷺ من غير تعرض الى الكيفية في كل ماجاء من أمر الساعة فانه أمر لا تسعه العقول ، وطلب الكيفية فيه ضعف في الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق كما أخبر صلى الله عليه وسلـم.[2]

(١) نقلا من لوامع الانوار

(٢) من العلوم الفاخرة ٧٠/١

تنوع عذاب القبر

ثم إن عذاب القبر نوعان : ١/ عذاب دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة والمجرمين لقوله تعالى : (**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**) ـــ ٤٦/غافر ـــ ولما في السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الكتابي الذي لبس بردين وجعل يمشي متبخترا فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة[1] .

ومافي حديث البراء السالف من رواية المسند (ثم يخرق له خرقا الى النار فيأتيه من غمها ودخانها الى يوم القيامة) .

٢/ وعذاب منقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فان كلا يعذب بحسب جريمته ثم يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك .

قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن يحيى عن بعض الأصحاب قال: مات أخي فرأيته في النوم فقلت له ماكان حالك حين وضعت في قبرك قال : أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به[2] وقال بشار بن غالب رأيت رابعة العدوية[3] في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت : يابشار هداياك تأتينا على أطباق من نور مغطاة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك ؟ قالت : هكذا دعاء المؤمنين الأحياء للموتى اذا استجيب جعل على أطباق النور ثم غطي بمناديل الحرير ثم اتي بها للذي دعى له من الموتى فقيل هذه هدية فلان اليك[4] .

(١) في الصحيحين وغيرهما (٢) رابعة العدوية أم الخير مولاة آل عتيك البصرية صالحة مشهورة من أهل البصرة ومولدها بها لها أخبار في العبادة والنسك ولها شعر من كلامها (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس قال ابن خلكان وفاتها سنة ١٣٠ هـ كما في شذور العقود لابن الجوزى وقيل سنة ١٨٥ هـ م ـــ (١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١/١٨٢ .

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور /٢٠٢ من كتاب الاعلام ٣/٣١ .

(٣) من كتاب الروح ص ١٤٤ ـــ ١٤٥ .

(٤) من كتاب الروح ص ١٤٤ ـــ ١٤٥

الأسباب الموجبة لعذاب القبر

الأسباب الموجبة لعذاب القبر على قسمين مجمل ومفصل :

أما المجمل فمنها الجهل بالله واضاعة أوامره وارتكاب معاصيه المفضية الى سخطه وعذابه اذ لا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت هذه الروح فيه أبدا فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله واسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب .

وأما المفصل فقد أخبر الرسول — ﷺ — عن الرجلين الذين علم بعذابهما في قبريهما أن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس والآخر كان لا يستتر من البول وقد مر .

فترك الطهارة الواجبة وارتكاب السبب الموقع للعداوة بين الناس سبب لسخط الله وغضبه .

ومن الذين يعذبون في قبورهم الزناة والزواني والمتكبرون والمراؤن والهمازون واللمازون والطعانون والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين وأعوان الظلمة الذين يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم ومن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه وبعيوبهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها . ولما كان أكثرُ الناس كذلك كان أكثرُ أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب .

نزود قرينـــا من فعـــالك انمـا
قرين الفتى في القبر ماكان يفعل
وليس يصحب الانسان من بعد موته
الى قبره غير الذي كان يعمل
الا انما الانســـان ضيف لأهله
يقيم قليـــلا عندهم ثم يرحـــل

هذا ونسأل الله تعالى العفو والعافية والرحمة والغفران لنا ولوالدينا ومشايخنا والمسلمين أجمعين .

من أنفع الأسباب المنجية من عذاب القبر التوبة الصادقة ومن أحسنها أن يجلس عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره وربحه في يومه ثم يتوب توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود الى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير الاجل وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عَقَّبَ ذلك بالأذكار الواردة عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم عند النوم وكذلك المرابط في سبيل الله والشهيد ومن يداوم على قراءة سورة (الملك) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح روينا في مسند ابن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل ألا اتحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل بلى . قال اقرأ : (**تبارك الذي بيده الملك**) احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة لقارئها وتطلب له النجاة من عذاب القبر[1] قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم : (لوددت انها في قلب كل انسان من أمتي) قال أبوعمر بن عبد البر : وصح عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له (**تبارك الذي بيده الملك**) .

(١) خرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه انظر تيسير الوصول ١٧٥/١ وكتاب الروح ١٢٩ وفتح القدير ٢٥٠/٤

البعث والحساب

البعث هو النشأة الآخرة التي الى الله فيها الرجعى واليه المنتهى وهي نتيجة أطوار الخليقة الغابرة التي اكتسبت النفوس بها أو كسبت وهو المعاد الذي يكون فيه الإسعاد أو الشقاء ودوام النعيم أو العذاب في دار البقاء يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين في صعيد واحد للحساب والجزاء يسمعهم الداعي وينفذهم البصر (**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب**) ــ ١١٠/غافر ــ يوم يجمع الله فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبي وامته وبين كل ظالم ومظلومه وبين الأولين والآخرين من الانس والجن وأهل السماء والأرض (**زعم الذين كفروا أن لم يبعثوا**) ــ ٧/التغابن ــ ادعى المشركون والملحدون في كل عصر ومصر أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء قائلين : (**أ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أ إنا لمبعوثون**) ــ الصافات ١٦ ــ (**أ اذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد**) ــ ٥/الرعد ــ و (**من يحي العظام وهي رميم**) ــ ٧٨/يس ــ فأمر الله تعالى رسوله الكريم بالرد عليهم وابطال زعمهم وتزييف ادعائهم : (**قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير**) أي إن البعث كائن لا محالة وإنكم وربي الذي برأ الخليقة وانشأها من العدم لتخرجن من قبوركم ولتحاسبن على أعمالكم ولتجزون على القليل والكثير والنقير والقطمير وذلك هين وعليه تعالى يسير اذ يجمع الله تعالى جميع العباد ويعيدهم اليه بعد ايجادهم بجمع اجزائهم الأصيلة وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء وقد بين القرآن الكريم معادَ الروح عند القيامة الصغرى (الموت) كما صرح بمعاد الأبدان عند القيامة الكبرى (يوم البعث والنشور) في غير موضع من آياته الشريفة ووضحتها السنة المطهرة وأجمع عليه سلف الأمة وخلفها وجمهور

العقلاء من شتى الطوائف والملل لكونه من الممكن المعقول فلا مجال للشك والتردد أو الانكار فان ما أخبرته به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ونزلت به الكتب السماوية لاسيما القرآن الكريم والذكر الحكيم حق واقع وصدق صادق اذ الأنبياء لا تأتي الا بما تدركه العقول أو تحتار فيه لا ما تحيله . فمن زعم عدم اعادة المعدوم أو شك فيه القم حجرا والزم بالنشأة الأولى والمبدأ فان المعاد مثله بل أيسر منه قال تعالى : (**وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**) ــ ٢٧/الروم ــ وقال : (**ثم انكم يوم القيامة تبعثون**) ــ ١٦/المؤمنون ــ وقال : (**فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون**) ــ ٥١/يس ــ وقال : (**فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة**) ــ ٥١/الاسـراء ــ وقال: (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه**) ــ ٤/القيامة ــ وقال : (**كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين**) ــ ١٠٤/الأنبياء ــ وآيات الكتاب العزيز في هذا الشأن أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر وأما الأحاديث النبوية الصحيحة فقد استفاضت بها كتب السنة المطهرة منها مارواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء العاص بن وائل[١] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل[٢] ففته بيده فقال : يامحمد أيحي الله هذا بعد مأرى ؟ قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات من آخر سورة (يس) (**أو لم ير الانســـان**) الى آخر السورة[٣].

(١) وقيل انه ابى بن خلف الجمحي .

(٢) حائل : متغير من البلى ومنه الحديث (نهى ان يستنجى بعظم حائل) أي متغير من غيره البلى . النهاية ١/٤٦٣ .

(٣) اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم والاسماعيلي في معجمه والحافظ ابن مردويه والضياء في المختارة والبيهقي في البعث كما في اللوامع ١٥٨/٢

وعنه رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : (**يأأيها الناس إنكم تُحشَرون الى الله حفاة عراة غرلا**[١] **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين**)[٢] ونحوه عن عائشة رضي الله عنها وفيه قالت : فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)[٣] فهذه النصوص وغيرها صريحة في البعث والحشر الجسماني وهي تقلع عروق التأويل وترد على المنكر وتبطل حجته فالقول الذي عليه السلف والخلف وجمهور العقلاء من شتى الملل أن الأجسام تنتقل من حال الى حال فتستحيل ترابا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى فانه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار عظما ولحما ثم أنشأه الله خلقا سويا فكذلك الاعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله الا عَجْب الذنب الذي خلق منه ابن آدم ومنه يُرَكَّبُ[٤].

فالذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيُ الا العظام فتلقيها الامواج الى الساحل فتمكث حيناً ثم تصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيُ قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فتجيء الريح وتلقي ذلك الرماد على الأرض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أهل القبور وأولئك سواء[٥].

فيجمع الله تعالى ماتفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض ومأأصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق ومأأبلته الشمس وذرته

(١) غرلا : جمع أغرل وهو الاقلف غير مختون
(٢) في الصحيحين .
(٣) في الصحيحين (٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ ــ الطبعة الحديثة
(٥) من قول عكرمة رحمه الله كما في اللوامع ٢/١٦٠ .

الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الأرواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثُقَب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون[1] .

(١) من قول العلامة مرعي رحمه الله كما في اللوامع ٢/١٦٠

نفخة الصور

لا يزال الله تعالى يبعث بالأرواح الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني ليبلوهم في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فيه ليلة الاسراء . حتى اذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر وجودها في صلب آدم وانتهت البرية واذن الله بانقضاء الدنيا أقام الله تعالى القيامة بعد أن يأمر تعالى اسرافيل عليه السلام وهو الملك الموكل بالصور وهو قرن من نور على هيئة البوق فينفخ فيه ثلاث نفخات بين النفخة الثانية والثالثة أربعون عاما على أرجح الروايات .

النفخة الأولى

نفخة الفزع وهي التي بها خراب هذا العالم وفساد نظامه وهي المشار اليها في قوله تعالى : (**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله**) ــ ٨٧/النمل ــ فيحصل الفزع للأحياء من أهل السماء والأرض ممن خلق منهم للفناء لشدة مايقع من هول تلك النفخة . ففي حديث الصور الطويل المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر) قلت : يارسول الله وماالصور ؟ قال : القرن . قلت : أي شئ هو ؟ قال : عظيم ان عِظَمَ دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب

العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والأرض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى : (**وما ينظرون الا صيحة واحدة مالها من فواق**)[1] ـــ ١٥/ص ـــ فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المُوقرة في البحر تضربها الأمواج وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح وهي التي يقول الله : (**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**) ٦/٧ النازعات ـــ فتميل الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين وينادي بعضهم وهو الذي يقول الله تعالى : (**يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم**) ـــ ٣٣/غافر ـــ فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الأرض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل[2] ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسف شمسها وقمرها .

قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك . قلت : يارسول الله من استثنى الله تعالى في قوله : (**الا من شاء الله**) قال : أولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم آمنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على أشرار خلقه يقول الله : (**ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**) ـــ ٢/الحج ـــ فيمكثون في ذلك ماشاء الله الحديث[3].

(١) من فواق : من مرد ومرجع .

(٢) كالمهل : لدردى الزيت ـــ أي عكره في قعره . م ـــ تفسير القاسمي ١٣/٥٣٣ .

(٣) من حديث طويل سيأتي تمامه ان شاء الله وهو مخرج في تفسير ابن جرير ، والطبراني في المطولات ، وفي مسند ابي يعلى ، وفي البعث للبيهقي وفي المطولات لابي موسى المديني ، وفي كتاب الطاعة والعصيان لعلي بن معبد ، وعبد بن حميد ، وابي الشيخ في العظمة كلهم عن ابي هريرة رضي الله عنه . انظر اللوامع ٢/١٦١ والنهاية لابن كثير ١/١٧٢ .

. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : (ست آيات قبل يوم القيامة بينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى (**واذا الوحوش حشرت**) ـ التكوير ٥ ـ اختلطت (**واذا العشار عطلت**) ـ التكوير ٤ ـ اهملت (**واذا البحار سجرت**) ـ التكوير ٦ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوقدت فصارت نارا تضرم . اهـ .

قال أبي : قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الأرض صدعة واحدة الى الأرض السابعة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم[1] .

(١) من تفسير الحافظ البغوى والنهاية لابن كثير واللوامع

النفخة الثانية

هي نفخة الصَعْق وفيها هلاك كل شيْ في هذا العالم وهي المشار اليها في قوله تعالى : (**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله**) ـــ ٦٨/الزمر ـــ وفي الحديث المتقدم ذكر أوله من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ـــ صلى الله عليه وسلم (ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض[١] الا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقي ؟ فيقول أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله تعالى : فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى : فليمت حملة العرش فيموتون . فيأمر الله العرش أن يقبض الصور من اسرافيل فيموت ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بقى ؟ فيقول أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت . فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والأرض كطي السجل للكتب وقال أنا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار وتبدل الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا الحديث وعن وهب أن هؤلاء الأملاك الأربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحيهم وهم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا[٢].

(١) أي ـــ فيموتون كما صرح بذلك حديث ابن مسعود رضى الله عنه ابن المبارك ومؤمل وعلى بن معبد .
(٢) أخرجه أبو الشيخ .

النفخة الثالثة

نفخة البعث والنشور واليها يشير الكتاب العزيز في كثير من آياته الشريفة منها قوله تعالى : (**ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون**) ـــ ٥١/يس ـــ وقوله عز وجل (**ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**) ـــ ٦٨/الزمر ـــ (**يوم يناد المناد**) ٤١/ق ـــ (**يوم يسمعون الصيحة**) ـــ ٤٢/ق وهي النفخة التي ينفخها اسرافيل عليه السلام في الصور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

(ان الله يرسل مطرا الى الأرض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والأخرى ظلمة . فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والأرض ثم يقول الله تعالى (**وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها**) فتدخل الأرواح من الخياشيم ثم تمشي مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض عنهم سراعا فأنا أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون أي تخرجون من الأجداث أحياء فيقول الكافرون والمنافقون حينئذ (**ياويلنا من بعثنا من مرقدنا**) ـــ ٥٢/يس ـــ ويقول المؤمنون (**هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون**) ـــ ٥٢/يس ـــ وللحديث شواهد مخرجة في الصحيحين وغيرهما .

(١) نقلا عن بعض المفسرين كما في اللوامع ٢:١٦٤

الحشر

الحشر لغة الجمع والمراد به جمع أجزاء الانسان بعد التفرقة ثم احياء الأبدان بعد موتها ومجيئها للحساب .

قال تعالى : (**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**) ــ ١٨/النبأ ــ أى زمرا زمرا تسوقهم الملائكة الى المحشر حفاة غير منتعلين عراة غير مكتسين غرلا غير مختتنين بهما لا ينظر بعضهم الى بعض لماهم فيه من شدة الموقف وأهواله التي تذيب الأكباد وتذهل المراضع وتشيب الولدان فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم قال : (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء)(١) وفي رواية (يمكثون ألف عام في الظلمة لا يتكلمون)(٢) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ آذانهم)(٣) وعن المقداد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال : فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما)(٤) فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم انه قال : (يوما كان مقداره خمسين ألف سنة) فقيل ماأطول هذا اليوم ؟ فقال النبي ﷺ

(١) خرجه ابن ابى الدنيا ، والطبرانى من عدة طرق أحدها صحيح ، والحالكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) البيهقى عن ابى هريرة رضى الله عنه .

(٣) في الصحيحين .

(٤) مسلم ومثله عن ابى بكر بن ابى الدنيا من رواية المقداد بن الاسود كما في النهايه لابن كثير ١/٢٢٣ .

(والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة[1])

أما أهل الكبر والغطرسة فقد صح في السنة المطهرة أنهم يحشرون أمثال الذر يغشاهم الذل من كل مكان ويساقون الى سجن من جهنم يقال له (بولس) تعلوهم نار الانيار ويسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم قال : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى السجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[2] .

وعن جابر رضي الله عنه مرفوعا (يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال ماهؤلاء في صور الذر ؟ فيقال هؤلاء المتكبرون في الدنيا)[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس . قال : ثم يذهب بهم الى نار الانيار .

(١) أحمد ، وابو يعلى ، وابن حبان في صحيحه .

(٢) النسائي والترمذى كلاهما عن سويد بن نصير عن عبد الله بن المبارك عن محمد ابن عجلان وحسنه الترمذى كما في النهاية لابن كثير ٢٢٧/١ .

(٣) رواه البزار .

قيل : يارسول الله وما نار الانيار ؟ قال : عصارة أهل النار[1] وآيات الكتاب العزيز في ذم الكبر والمتكبرين كثيرة جدا منها قوله تعالى : (**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق**) . ــ ٤٦/الاعراف ــ

وقوله جل ذكره : (**كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**) ــ ٣٥/غافر ــ وقوله عز وجل : (**انه لا يحب المتكبرين**) ــ ٢٣/النحل ــ و (**ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**) ــ ٦٠/ غافر ــ أى ذليلين حقيرين وماذاك الا لأن المتكبر نازع الله تعالى في حقه وبعض صفاته وهي الكبرياء والعظمة . قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (**الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منها القيته في النار ولا أبالي**)[2] بالاضافة الى أن المتكبر ينظر الى عباد الله بنظر الاحتقار والاستصغار والازدراء فيمنعه ذلك عن سماع الحق وقبوله وشر انواع الكبرياء هو مايمنع من استفادة العلم وقبول النصح والانقياد للحق وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين وبالجملة فان الخلق كلهم عباد الله وله وحده العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ومن نازع الله في حقه فقد استحق المقت والغضب والاهانة في هذه الدار ويوم القيامة .

هذا وإن الخلائق من أهل السموات والأرض يقفون جميعا ذلك القدر من الزمن الذي مر في الأحاديث التي أتينا على ذكر بعضها يقفون على قدر أعمالهم وتدنو الشمس من رؤسهم ويتصبب العرق منهم من شدة الهول وعِظم وهج الشمس وفظاعة حرها تلك الحرارة التي لو اطلعت يوما من أيام الدنيا على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الجوامد وأنشفت الأنهار .

(١) و (٢) الامام أحمد في كتاب الزهد كما في النهاية لابن كثير ٢٢٧/١

وفي هذه العرصات يبلغ منهم العطش مبلغه حيث يقومون من قبورهم عطاشا لا يجدون مايشفي غليلهم من الظمأ سوى حوض النبي ـ صلى الله عليه وسلم المسمى بالكوثر وبالمورود يرده المؤمنون به العاملون بسنته السالكون نهجه وطريقته ويذاد عنه المجرمون الذين بدلوا دينه وغيروا طريقته وانحرفوا عن نهجه القويم الى البدع والاضاليل . قال أنس رضي الله عنه : اغفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه مبتسما اما قال لهم واما قالوا له لم ضحكت ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : انه انزلت على آنفا سورة فقرأ (**بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر**[1]) حتى ختمها فقال : هل تدرون ماالكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج منهم العبد فأقول يارب انه من أمتي فيقال انك لاتدري ماأحدثوا بعدك)[2] وفيه أحاديث صحيحة كثيرة بلغت حد التواتر هدانا الله عز وجل ورزقنا كمال الايمان وسقانا من حوض نبيه شربة لا نظمأ بعدها أبدا .

(١) الكوثر : في كلام العرب الخير الكثير قاله القرطبي في التذكرة

(٢) رواه مسلم واحمد وأبو داود وغيرهم .

الشفاعة[1] العظمى

تقف الخليقة من أهل السماء والأرض قياما بين يدي رب العزة والعرقُ قد غمر أكثرهم وبلغ منهم كل مبلغ بحسب الأعمال خاضعين خاشعين لا يتكلم أحد الا باذنه تعالى ولايتكلم إلا الأنبياء والرسل ومن حولهم أممهم حتى يأتي المولى تعالت عظمته لفصل القضاء بعد أن يأذن لنبيه وصفيه سيد الأولين والآخرين محمد ــ ﷺ ليشفع شفاعته العظمى التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويحيد كل عنها قائلا لست لها حتى ينتهي الأمر الى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة محمد ــ صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها . فيذهب فيسجد تحت العرش فيفتح الله عليه ويلهمه من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبله فيقال : يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فيرفع رأسه ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده ليريحهم من مقامهم ذلك ويميز بين صالحهم ومجرمهم بمجازاة المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار وهذه هي الشفاعة العامة التي يعم الله بها سائر الأمم والتي خص بها نبينا محمداً ــ صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء يسألها الرب عز وجل لفصل القضاء وتخليص الورى مما يقاسونه من القلق وتصاعد العرق مايذيب له الأكباد وينسى الأولاد بعد التردد الى الأنبياء وتدافعها الى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود الذي يبعثه الله به يوم القيامة وهناك شفاعات عدة خاصة بامته ــ صلى الله عليه وسلم يشفع عند ربه عز وجل في ادخال قوم منهم الجنة بغير حساب وفي قوم منهم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وفي رفع درجات قوم منهم في الجنة . رزقنا الله شفاعته العامة والخاصة وامننا من الخوف يوم الفزع الأكبر وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) الشفاعة : لغة الوسيلة وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم انظر اللوامع ٢/٢٠٤

الصراط والميزان

فبينما الخلائق في هذا الموقف العظيم والمحشر الرهيب خاشعين خاضعين باكين اذ الصراط[1] منصوب على متن جهنم وهو جسر بين الجنة والنار ورد في وصفه أنه أدق من الشعر وأحد من السيف[2] عندئذ (تبدل الأرض غير الأرض) وذلك بأن تسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى ببسطها ومدها مد الأديم العكاظي فلا يرى فيها عوج ولا أمت وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا[3] ومعنى هذا أن الأرض تكون في صفة غير الصفة التي فارقتها الخليقة فهي قد دكت جبالها وزالت تلالها وتغيرت أحوالها وانقطعت أنهارها وبادت أشجارها وسجرت بحارها وتساوت مهادها ورباها وخربت مدائنها وقراها وقد زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها وقال الانسان مالها وكذلك السموات قد تبدلت ونجومها انكدرت وانتثرت ونواحيها قد تشققت وارجاؤها قد انفطرت والملائكة على أرجاءها قد أحدقت وشمسها وقمرها مكسوفان بل ومخسوفان[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يخرجون فينظرون الأرض غير الأرض التي عهدوا والى الناس غير الناس الذين عهدوا ثم قال متمثلا[5].

(١) الصراط : أصل الصراط الطريق الواسع وسمى بذلك لانه يسترط السابلة ــ أي ــ يبتلعهم اذا سلكوه ويستعمل في الطريق المعنوي كما في قوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما) اه من شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٦ ــ تأليف د ــ محمد خليل هراس ــ رحمه الله وشرعا : جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون .

(٢) في صحيح مسلم من رواية أبي سعيد الخدرى (٣) من تفسير القاسمي ١١/٢٢٨ .

(٤) النهاية لابن كثير ١/٢٢٨ .

(٥) في النهاية لابن كثير ١/٢٢٨ .

فما النــاس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعـرف

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم : (من سره أن ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت و (اذا السماء انفطرت) و (اذا السماء انشقت)[1].

ومما قيل في هذا المعنى :

مثــل لنفســـك أيهـــا المغرور
يوم القيـــامة والسمـــاء تمـور
اذا كورت شمس النهـــار وادنيت
حتى على رؤس العبـــاد تســـير
واذا النجـــوم تســـاقطت وتناثرت
وتبدلت بعـــد الضيـــاء كـــدور
واذا البحار تفجرت مـــن خوفها
ورأيتها مثل الحميـــم تفـــور
واذا الجبـــال تعلقت باصولهـــا
ورأيتها مثل السحـــاب تسير
واذا العشـــار تعطلت وتخـــربت
خلت الديـــار فما بهـــا معمـور
واذا الوحوش لدى القيـامة حشرت
وتقـــول للأمـــلاك أين تســـير

(١) أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن .

واذا تقـــات المسلمين تزوجـــوا

من حـــور عين زانهـــن شعـور

واذا المؤدة سئلت عن شأنهـــا

وبأي ذنب قتلها ميســـــــور

واذا الجليل طوى السماء بيمينه

طي السجـــل كتـــــابه المنشـور

واذا الصحائف عند ذاك تساقطت

تبدو لنـــا يوم القصـــاص أمور

واذا الصحـــائف نشرت فتطايرت

هتكت اذاً للمذنبيـــن ســـتور

واذا السماء تكشطت عن أهلها

ورأيت أفـــلاك السمـــاء تدور

واذا الجحيم تسعرت نيرانهـــــا

فلها على أهل الذنــــوب زفير

واذا الجنان تزخرفت وتطيبت

لفتى على طول البـــلاء صبور

واذا الجنين معلق مـــع أمه

يخشى القصـــاص وقلبـــه مذعور

هـــذا بلا ذنب يخـــاف جنـاية

كيف المصر على الذنـــوب دهور

وقد ثبت في الصحيح ان الخلائق في هذه الحال يكونون على الصراط وفي الظلمة دونه (سـألت الصديقة أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنهـا النبي ـ ﷺ ـ أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات) ؟ قال : على الصراط[1] وعن ثوبان رضي الله عنه ان حبرا من اليهود سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قال : (يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات) قال : هم في الظلمة دون الجسر (قال فمن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين) الحديث[2] ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء من حين وقوع الناس في الظلمة ويمتد ذلك الى حال المرور على الصراط والله أعلم[3].

فيذهبون من موقفهم مارين على الصراط على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من تخطفه الكلاليب فتلقيه في جهنم كما في حديث أبي سعيد الخدري الطويل عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم وفيه قال : (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وماالجسر ؟ قال : (دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة ـ تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمره المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم مخدوش

(١) رواه الامام مسلم

(٢) رواه الامام مسلم .

(٣) التخويف لابن رجب ١٣٦

مرسل ومكردس على وجهه في النار[1].

وعبور الصراط كما يعلم من الأحاديث والآثار وأقوال أهل العلم هو بعد مفارقة الناس لأرض الموقف والحشر والحساب فان الصراط عليه ينجو من ينجو الى الجنة ويسقط عنه من يسقط في النار كما يعرف من الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك .

وذلك لأن الايمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه الهداية اليه (**اهدنا الصراط المستقيم**) فمن استقام سيرُه على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهرا وباطنا استقام مشيُه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ونجا واعطى نوره عند اقتسام المؤمنين الانوار كل على حسب ايمانه وأعماله الصالحة (**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**) ـــ ١٢/الحديد ـــ

ومن لم يستقم سيره على صراط الله المستقيم في الدنيا بل انحرف عنه اما الى فتنة الشبهات أو الى فتنة الشهوات كان اختطاف الكلاليب[2] له على صراط جهنم وتخبطه عليه في الظلمة حيث لا نور له بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه انها تخطف الناس بأعمالهم (**يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ألم نكن معكم قالوا : بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**) ـــ ١٣ ـــ ١٤/الحديد .

اخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان دليلا لهم

(١) في الصحيحين .

(٢) الكلاليب : جمع كلوب بالتشديد وهو حديدة معوجة الرأس كما في النهاية لابن الاثير .

من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين انطلقوا الى النور تبعوهم فأظلم على المنافقين فقالوا حينئذ للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا ، قال المؤمنون : ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك نورا .

الحساب

الحساب هو تعريف الله عز وجل الخلائقَ مقاديرَ الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم ماقد نسوه من ذلك[1].

وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق بلا ارتياب قال الله تعالى : (**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**) ـــ ٩٢/الحجر ـــ وقال : (**ووجدوا ماعملوا حاضرا**) ـــ ٤٩/الكهف ـــ وقال : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) ـــ ٧/سورة الزلزلة ـــ .

وايات الكتاب في ذلك كثيرة جدا .

وفي معنى محاسبته تعالى عباده اقوال أصحها أن الله تعالى يكلم عباده في شأن أعمالهم ومالها من الثواب وماعليها من العقاب لما فيه من صحيح الأخبار وصريح الآثار فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع خصال :
عن عمره فيمَ أفناه وعن علمه وماعمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه وعن جسمه فيمَ أبلاه[2] .

وفي حديث عبد الله بن انيس رضي الله عنه إنه سمع النبي ﷺ يقول : (**يحشر الله العباد يوم القيامة أو قال الناس عراة غرلا بهما قال : ليس معهم شيً ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرُب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل**

(١) قاله الثعالبي كما في اللوامع ٢/١٧١

(٢) رواه الامام أحمد .

النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة) قال : وكيف وانما نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال : الحسنات والسيئات[1].

وعن الحسن قال : سمعت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطـاير الصحف فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل الجنة ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار)[2]

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك انه أنشد في ذلـك شعـرا :

وطارت الصحف في الأيدي مُنَشَّرَةً
فيهـا السرائر والأخبار تطلـع
فكيف سهوك والأنباء واقعـــةٌ
عما قليل ولا تدري بما تقـع
أفي الجنان وفوزٌ لا انقطاع لـه
أم الجحيـم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بساكنها طـورا وترفعهـم
اذا رجوا مخرجـا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحـم تضرعهم
فيها ولا رقية تغني ولا جــزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه
قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة مستفيضة ليس هذا محل سردها وبالله التوفيق .

(١) رواه الامام أحمد والترمذى وأبو بكر بن ابى الدنيا .

(٢) رواه الامام أحمد والترمذى وابن أبي الدنيا ولكنه ضعيف أنظر هامش العقيدة الطحاوية

الميزان

واذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لان الوزن للجزاء فلذا كان بعد المحاسبة اذ المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها[1].

فينصب الميزان وهو حسي حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد كما جاء به القرآن الكريم ووضحته السنة المطهرة .

قال تعالى : (**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**) (**والوزن يومئذ الحق**) الآيتين .ـ ٤٧/٤٨/الأنبياء .

وفي السنة ماروى عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما من حديث جبريل عليه السلام عن الايمان قال : (يامحمد ماالايمان ؟ قال أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : اذا فعلت ذلك فأنا مؤمن . قال : نعم قال : صدقت)[2].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ (الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان)[3] .

وفي خاتمة صحيح البخاري رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم : (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .

(١) العقيدة الطحاوية ٤٠٧ و ١٤٠ ـ (ط) ٣ .

(٢) رواه البيهقي في الشعب .

(٣) في صحيح مسلم .

وعن انس رضي الله عنه قال : سألت النبي ـ صلى الله عليه وسلم أن يشفع في يوم القيامة فقال أنا فاعل . قلت : يارسول الله فأين أطلبك قال : اطلبني أول ماتطلبني على الصراط . قلت : فان لم القك على الصراط قال : فاطلبني عند الميزان . قلت : فان لم القك . قال : فاطلبني عند الحوض . قال : فاني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن[1].

وصح (أن المؤمنين اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة)[2].

وأول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم وأول من يدخلها من الأمم أمته ـ صلى الله عليه وسلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : (نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم)[3].

وفي رواية له رضي الله عنه : (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة)[4].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فهذه الامة اسبق الأمم خروجا من الأرض واسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى دخول الجنة . فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فاذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار كان للاولين مالا يخطر على قلب بشر من النعيم وللآخرين مالا يعلمه الا الله من العذاب الأليم .اهـ.

ولا نرى داعيا الى الاطالة في هذا وذاك اذ القرآن مليئ بما يجعلنا ندرك طرفا منه ويكفي أن نأتي عن نعيم أهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ بشيئ يسير من صحيح أخبار الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم فنقول :

(١) أخرجه الترمذى وحسنه والبيهقى .

(٢) في الصحيحين .

(٣) في الصحيحين (٤) عند مسلم

روى أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : (ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان تشبوا فلا تهرموا أبدا وأن تنعموا فلا تيأسوا أبدا)[1]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم ياأهل النار لا موت ويأهل الجنة لا موت كل خالد بما هو فيه فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم[2].

وعن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم (جنتان من فضة آنيتها ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[3].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس مااخفى لهم من قرة أعين)[4].

وقد بسط الله عز وجل ذكر نعيم الجنة في كثير من آى الذكر الحكيم ثم جمعه في آيات منها قوله تعالى : (**وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**) ــ ٧١/الزخرف ــ قوله (**فلا تعلم نفس مااخفى لهم من قرة أعين**) ــ ١٧/السجدة ــ .

وأفضل ما ينال في الجنة ويلتذ له رؤية الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم اذ بذكره عز وجل تطمئن القلوب وتسكن النفوس وبرؤيته في الآخرة تقر العيون ويتم النعيم فلا نعيم أحب الى أهل الجنة ولا أقر لعيونهم ولا أنعم لقلوبهم من

(١) في الصحيحين (٢) رواه الشيخان (٣) في الصحيحين .
(٤) في الصحيحين أيضا .

النظر اليه وسماع كلامه منه بلا واسطة كما انه لا شئ أحب اليهم في الدنيا ولا أقر لعيونهم من الإيمان به ومحبته والشوق الى لقائه والانس بقربه والتنعم بذكره[1] ويجدر بنا في هذه المناسبة اللطيفة أن نرسي سفينتنا في بحر هذا الدعاء الزاخر الذي رواه لنا عمار بن ياسر عن الرسول الكريم ﷺ حيث كان يدعو به وهو (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ماعلمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضى بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك وأسألك الشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين)[2] آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

(١) انما يكون هذا لأهل السنة المصدقين برؤية ربهم تبارك وتعالى من فوقهم وسلامه عليهم وتكليمه اياهم ومحاضرته لهم

وليست هذه الفرحات الا
لذي الترحات في دار الرزايا
فشمر ماستطعت الساق واجهد
لعلك أن تفوز بذى العطايا
وصم عن لذة حشيت بلاء
للذات خلصن من البلايا
ودع أمنية ان لم تنلها
تعذب أو تنل كانت منايا
ولا تستبط وعدا من رسول
أتى بالحق من رب البرايا
فهذا الوعد أدنى من نعيم
مضى بالأمس لو وفقت رأيا

أهـ من كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله ٣٧٣ .

(٢) رواه الامام أحمد والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذا ما منّ الله عليّ ويسر جمعه والحمد لله رب العالمين انتهى في يوم الجمعة الموافق ١٩/ جمادى الثانية من عام اثنين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة خير البرية عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التحية .

كتبتُ وأيقنتُ يــوم كتــابتي
بأن يدِي تفنى ويبقى كتابُهـــــا
أيا قارئَ الخطِ الذي قد كتبتُه
تأملْ في يدِي وما صَابهَـــــا
فان عملت خيــرا تُجَــازَ بمثله
وان عملت شرا عليها حســابها

بقلـــم
حامد محمد العبادي
المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف بالمسجد الحرام
وخطيب جامع ابن عُبيد بحي الششة بمكة المكرمة

فهرس كتاب (السفينة الماخرة الى البرزخ والدار الآخر)

الصفحة	الموضـــوع

الصفحة	الموضـــوع

الصفحة	الموضـــوع
٧٣	أحوال أهل المقابر على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم
٧٤	تنوع عـذاب القبـر
٧٥	من الأسباب الموجبة لعذاب القبر
٧٧	من الأسباب المنجية من عذاب القبر
٧٨	البعث والحساب
٧٩	من زعم عدم اعادة المعدوم أو شك فيه ألقم حجرا والزم بالنشأة الأولى
٨٢	نفخـة الصـور
٨٢	النفخـة الأولـى
٨٥	النفخـة الثـانية
٨٦	النفخـة الثالثة
٨٧	الحشـــر
٨٨	يحشر أهل الكبر والغطرسة أمثال الذر
٨٨ ـ ٨٩	بعض أدلة الكتاب والسّنة في ذم الكبر والمتكبرين
٩٠	الحـوض الكوثـر
٩١	الشفاعـة العظمـى
٩٢	الصراط والميـزان
٩٢	بحث في بيـان جـزء يسير عن حالة الخلائق في الموقف
٩٣	بعض ماقيـل في ذلـك شعرا
٩٥	ان الخـلائق في هذه الحال يكونون على الصراط وفي الظلمة دونه
٩٦	عبور الصراط هو بعد مفارقة الناس لأرض الموقف والحشر والحساب
٩٨	الحســاب وبعض أدلـته
٩٨	يحشر الله العبـاد يوم القيامة عراة غرلا بهما
٩٩	ماقيل في ذلك شعـرا
١٠٠	الميـزان
١٠١	أول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد (ﷺ)
١٠٢	ما لأهل الجنة اذا استقروا فيها وما لأهل النار اذا استقروا فيها
١٠٢	أفضل ما ينال في الجنة ريلتذ له
١٠٣	بعض ماقيل في ذلك شعرا .. بالهامش